

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات النقدية والأدبية

الموازنة بين كتابي " مع المتني للدكتور طه حسين "
ومع أبي الطيب للدكتور عبد الله الطيب

بحث مقدم

لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب : السمانى دفع الله عبد القادر

إشراف البروفسيور : بابكر البدوي الدشين

للعام ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قال تعالى :

(والشعراء ينبعثهم الغاؤون "٢٢٤" ألم تر أنهم في كل وادٍ يميّمون
"٢٢٥" وأنهم يقولون ما لا يفعلون "٢٢٦" إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وذكروا الله كثيراً وأنصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين
ظلموا أي منقلب ينقلبون "٢٢٧")

صدق الله العظيم

"سورة الشعراء" (٢٢٤ - ٢٢٧)

إهداء

إلى اللذين جاهدا وصابرا على تعليمي وأنا را لي سبل الحياة

والديّ العزيزين

إلى أستاذي الجليل الذي مراقب تعليمي واجتهادي

الأستاذ / موسى محمد على أبو الریش

إلى أشقائي وشقيقاتي وإلى نزوجتي وأسرتي الجليلة

أهدي هذا البحث المتواضع !!!

الباحث

ب

شكر وعرفان

الشكر لله من قبل ومن بعد على جزيل نعمائه التي لا تحصى ولا تعد ، ومن بعد الشكر لإدارة جامعة الإمام المهدي التي بعثني ، وللدكتور المربي الشيخ الوقور بابكر البدوي الدشين الذي تواضع معي كثيراً فشرمني الله به أن يشرف على هذا الجهد المتواضع .

ولأساتذة جامعة أم درمان الإسلامية قسم اللغة العربية ولأساتذة اللغة العربية بجامعة الإمام المهدي . وأخص بذلك الأستاذ منتصر الباقر حاج علي رئيس القسم والاستاذ أنس إبراهيم ، والدكتور ضو البيت عبد العال أمين الشؤون العلمية الذي حضني كثيراً وأعانني ، والشكر لأسرة مكتبة جامعة أم درمان الإسلامية ومكتبة السودان ، ومكتبة جامعة الإمام المهدي ومكتبة جامعة الخرطوم .

والشكر موصول لمركز CSA لعلوم الكمبيوتر وللأخ / المهندس إبراهيم محمد محمد علي لإجادته فن الطباعة والتنسيق والتصميم ولأساتذتي الإجلاء الأفاضل الذين وافقوا على مناقشة هذه الرسالة ولكل من أعان وساعد ، فإنه لا يشكر الله من لم يشكر الناس . وأصلي وأسلم على المبعوث رحمةً للعالمين معلم اللغات وفتاح الأذهان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الباحث

المقدمة

باسم العليم الحكيم الذي بنعمته تتم الصالحات وبه التوفيق والسداد ، وعليه قصد السبيل ، والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي جعله الله تعالى خاتماً للأنبياء والمرسلين بكتابٍ مبين وعلى آله وصحبه وتابعي نهجه القويم .
أمّا بعد :

فلا شك أن الشاعر المتنبي من فحول الشعراء الذين اشتهروا بالحكمة والإنسانية وقوة الأداء لما عنده من النسب الصادق والصور المبدعات وقد تناولت ذلك العديد من الكتب والمؤلفات .

ولكنني آثرت أن أتناول حياة ذلك الشاعر عبر صحبة كلٍ من الكاتبين الشاعرين الجليلين ، الدكتور طه حسين ، والدكتور عبد الله الطيب ، حيث تناول كل منهما الشاعر بطريقته الخاصة وبأسلوبٍ مختلفٍ فلذلك كان تناولي للكاتبين بالموازنة بينهما وذلك لأن علم الموازنة علمٌ له خصوصيته التي تجعله يختلف عن المقارنة ، فوازنت بين الكتابين مستعيناً في ذلك ببعض الكتاب الذين وازنوا بين بعض الشعراء وبعض الكتب وقد اختلف معهم في بعض الآراء وتجدون ذلك في تفاصيل البحث إنشاءً الله تعالى ، وكذلك فإن الكاتبين الجليلين ، الدكتور طه حسين والدكتور عبد الله الطيب من الشعراء أو المؤلفين الذين أعجبت بهم كثيراً في كتاباتهم ومؤلفاتهم وتطويرهم للأدب .. فذلك ما شجعتني أن أتناول كتاب مع المتنبي للدكتور طه حسين ، وكتاب مع أبي الطيب للدكتور عبد الله الطيب ، لعلني أكون قد فتحت باباً للقارئ الكريم أن يضيف ويتوسع في المناقشة .

أسباب اختيار الموضوع :

من الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع :

أولاً : لفت نظري أسلوب الكتّابين في اختيار عناوين براقية وذلك بكلمة "مع" حيث تدل على الصحبة والمعية في متابعة حيلة المنتبّي فالمعلوم حين يريد الكاتب أن يكتب عن شخصٍ أو شاعرٍ يجده يسرد حياته سرداً تفصيلياً ، ولكن ما وجدته بعد اطلاعي على الكتّابين قبل أن أبدأ أوازن أو اختارهما موضوعاً ، وجدت اختلافاً في كيفية المعية وكنت أظن أن الدكتور عبد الله الطيب سيجاري كثيراً الدكتور طه حسين في كتابه بل كنت أتوقع تطابقاً إلى حدٍ ما بين الكتّابين ، ولكن بمجرد ما وجدت اختلافاً من المقدمة بادرت أن أجد ما يربط بين الكتّابين لأختار ذلك موضوعاً للرسالة ، فخيرت الموازنة على المقارنة فوجدت لذلك سبيلاً في أن أتعرّف إلى حدٍ ما على معاني الموازنة وأسلوبها هذا بالإضافة إلى معرفة جزء من حياة كلٍ من الكتّابين .

منهج البحث :

أما عن منهج البحث فهو وصفي تحليلي يعرض آراء كلٍ من الكتّابين تجاه المنتبّي ويشرح هذه الآراء سواءً كان ذلك عبر شعره أو آراء بعض الكتّاب الآخرين لكي يتم الاستشهاد بها أو إضافة رأبي وتحليلي الشخصي في الموازنة .

خطة البحث:

يتكون البحث من خمسة فصول مقسمة إلى مباحث ومطالب ونتائج

إضافة إلى خلاصة أو خاتمة موضحة كالاتي:-

١/ الفصل الأول :

مفهوم الموازنة

المبحث الأول : الموازنة لغةً

المبحث الثاني : الموازنة في الاصطلاح

٢/ الفصل الثاني:

السيرة الذاتية للكاتبين

المبحث الأول : السيرة الذاتية للدكتور طه حسين

المبحث الثاني : السيرة الذاتية للدكتور عبد الله الطيب

٣/ الفصل الثالث :

مولد المتنبي ونسبه وطفولته

المبحث الأول : مولده ونسبه

المبحث الثاني : البيئة التي أثرت في تكوينه الفكري والثقافي

٤/ الفصل الرابع :

شعر المتنبي

المبحث الأول : شعر المتنبي على ضوء كتاب مع المتنبي للدكتور طه حسين

المبحث الثاني : شعره على ضوء كتاب مع أبي الطيب للدكتور عبد الله الطيب

٥/ الفصل الخامس :

الموازنة

المبحث الأول : أوجه الشبه

المبحث الثاني : أوجه الاختلاف

المبحث الثالث : المفاضلة والخلاصة

٦/ الخاتمة

٧/ الفهارس

الفصل الأول

مفهوم الموازنة

المبحث الأول :

- الموازنة لغةً

المبحث الثاني :

- الموازنة اصطلاحاً

المبحث الأول

الموازنة لغةً :

أصل الموازنة من الفعل وزن . والوزن ثقل شيءٍ بشيءٍ مثله كأوزان الدراهم ومثل الرزن ، وزن الشيء وزناً وزنةً ، قال سيبويه (اتزن يكون على الاتخاذ وعلى المطاوعة وإنه لحسن الوزنة أي الوزن ، جاءوا به على الأصل ، ولم يعلوه لأنه بمصدر إنما هو هيئة الحال وقالوا هذا درهمٌ وزناً) . ووزن النصب على المصدر الموضوع في موضع الحال ، والرفع على الصفة كأنك قلت موزون على أو وازن ، قال أبو منصور ورأيت العرب يسمون الأوزان التي يوزن بها التمر وغيره المسواة من الحجارة والحديد الموازين ، وأحدها ميزان وهي المثاقيل وأحدها متقال ويقال للآلة التي يوزن بها ميزان أيضاً . قال الجوهري أصله موازن انقلبت الواو ياءً لكسر ما قبلها ، وجمعه موازين وجائز أن تقول للميزان الواحد بأوزانه موازين ، يريد نضع الميزان القسط . قال تعالى (فأما من ثقلت موازينه ، فهو في عيشةٍ راضيةً ، وأما من خفت موازينه ، فأمه هاوية)^(١)

قال ثعلب (إنما أراد من ثقل وزنه أو خف وزنه ، فوضع الاسم الذي هو الميزان موضع المصدر) . قال الزجاج اختلف الناس في ذكر القيامة ، فجاء في التفسير أنه ميزان له كفتان ، وأن الميزان أنزل في الدنيا يتعامل الناس بالعدل وتوزن به الأعمال . وروى جوبير عن الضحاك أن الميزان العدل ، قال وذهب إلى قوله هذا وزن هذا وإن لم يكن ما يوزن ، وتاويله أنه قد قام في النفس مساوياً لغيره كما يقوم الوزن في مرآة العين وقال بعضهم : الميزان الكتاب الذي توضع فيه أعمال الخلق ، قال ابن سيده : هذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ .

(١) سورة القارعة آية (٦، ٧، ٨، ٩)

إلا أن الأولى أن يتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح فإن جاء في الخبر أنه ميزان له كفتان ، من حيث ينقل أهل الثقة فينبغي أن يقبل ذلك ، وقوله تعالى (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً) (٢) .

قال أبو العباس : قال ابن الأعرابي : العرب تقول ما لفلانٍ عندي وزنٌ أي قدرٌ لحسنه، وقال غيره معناه خفة موازينهم من الحسنات ، ويقال وزن فلانٌ الدراهم وزناً بالميزان ، وإذا كاله فقد وزنه ، ويقال وزن الشيء إذا قدره ووزن تمر النخل إذا خرصه ، وفي حديث ابن عباس وسئل عن السلف في النخل فقال (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع النخل حتى يؤكل منه وحتى يوزن ، قلت وما يوزن ؟ فقال رجل عنده يحرز). قال أبو منصور جعل الحرز وزناً لأنه تقديرٌ وخرص، وفي طريق أخرى نهى عن بيع الثمار قبل أن توزن وفي رواية حتى توزن أي تحرز وتخرص .

قال ابن الأثير : سماه وزناً لأن الخارص يحرزها ويقدرها كالوزن لها ، قال : ووجه النهي أمران أحدهما : تحصين الأموال ، والثاني : أنه إذا باعها ظهور الصلاح بشرط القطع وقبل الخرص أسقط حقوق الفقراء منها لأن الله تعالى أوجب إخراجها وقت الحصاد والله أعلم .

وقوله تعالى (إذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) (١) والمعنى إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم .

يقال : وزنت فلاناً وزنت لفلان وهذا يزن درهماً ودرهمٌ وازن وقال معتب بن أم صاحب .

مِثْلُ الْعَصَافِيرِ أَحْلَامًا مُقَدَّرَةً وَيُوزَنُونَ بِوِزَنِ الرِّيشِ مَا وَزَنُوا
جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنَا عَنْ عُدُوهُمْ فَلَيْسَتْ الْخِلْتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ

(٢) سورة الكهف آية (١٠٥)

(١) سورة المطففين آية (٣)

قال ابن بُرِّي الذي في شعره يشبه العصافير : وازنت بين الشئيين موازنةً ووزاناً وهذا يوازن إذا كان على زنته أو كان محاذياً له ^(٢) يقال وزن المعطي ووازن الآخذ، كما تقول نقد المعطي وانتقد الآخذ ، وهو افتعل ، قلبوا الواو تاء فأدغموا . وقيل من كل شيء يوزن نحو الحديد والرصاص والنحاس والزرنيخ ، هذا قول الزجاج ، وفي النهاية فسر الموزون على وجهين ، أحدهما : أن هذه الجواهر كلها مما يوزن مثل الرصاص والحديد والنحاس والشمين أعني الذهب والفضة كأنه قصد كل شيء يوزن ولا يكال وقيل معنى قوله من كل شيء موزون أنه القدر المعلوم وزنه وقدره عند الله تعالى والميزان المقدار أنشد ثعلب :-

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقَائِكُمْ ذَا مَرَّةٍ عِنْدِي لِكُلِّ مُخَاصِمٍ مِيزَانُهُ

وقام ميزان النهار أي انتصف . وفي الحديث سبحان الله عدد خلقه وزنة عرشه وزنة عرشه أي يوزن عرشه في عظم قدره من وزن يزن وزناً وزناً ، كوعد عدةً وأصل الكلمة الواو والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة من أولها . وامرأة موزونة قصيرة عاقلة والوزنة المرأة القصيرة . الليث جارية موزونة فيها قصر ، وقال أبو زيد: "أكل فلان وزنة أي وجبة " ، وأوزان العرب ما وزنت عليها أشعارها وأحدها وزن وقد وزن الشعر وزناً فاتزن كل ذلك .

عن أبي اسحق وهذا القول أوزن من هذا أي أقوى وأمكن . وقال أبو العباس : كان عمارة يقرأ "ولا الليل سابق النهار " بالنصب فقلت فهلا قلته قال لو قلته لكان أوزن ، والميزان العدل ووازنه عادله وقابله وهو وزنه وزنته ووزانه وبوزانه أي قبالته . وقولهم هو وزن الجبل أي ناحيته منه وهو زنة الجبل أي حذاه ،

(٢) لسان العرب ص (٤٤٧)

وهي أحد الظروف التي عزلها سيبويه ليفسر معانيها ولأنها غرائب قال أعني وزن الجبل ، قال : وقياس ما كان من هذا النحو أن يكون منضوياً كما ذكرناه بدليل ما أوماً إليه سيبويه هنا وأما أبو عبيد فقال : هو وزانه بالرفع والوزن المتقال والجمع اوزان ، وقالوا : دراهم وزنه فوصفوه بالمصدر .^(١)

وفلان أوزن بني فلان أي أوجههم ، ورجل وزين الرأي أصيله ، وفي الصحاح وزينه . ووزن الشيء : رجح ويروي بيت الأعشى :-

وَأَنْ يُسْتَضَافُوا إِلَى حُكْمِهِ يُضَافُوا إِلَى عَادِلٍ قَدْ وَزَنَ

وقد وزن وزانة إذا كان متثبناً . وقال أبو سعيد أوزن نفسه على الأمر وأوزنها إذا وطن نفسه عليه .

والوزن : القدرة من الثمر لا يكاد الرجل يرفعها بيديه . تكون ثلث الحلة من جلال هجر أو نصفها وجمعه وزون حكاء أو ضيفه وأنشد :-

وَكُنَّا تَزَوْدَنَا وَزَوْنَا كَثِيرَةً فَأَقْبَيْتَهَا لَمَّا عَلَوْنَا سَبْنَسِبَا

والوزين : الحنظل المطحون وفي المحكم الوزين حب الحنظل المطحون يبيل باللبن فيؤكل قال :-

إِذَا قَلَّ الْغَثَّانُ وَصَارَ يَوْمًا خَبِيئُهُ بَيْتَ ذِي الشَّرْفِ الْوَزِينِ

أراد صار الوزين يوماً خبيئهُ بيت ذي الشرف وكانت العرب تتخذ طعاماً من هبيد الحنظل يبلونه باللبن فيأكلونه ويسمونه الوزين ووزن سبعة لقب ، والوزن نجم يطلع قبل سهيل فيظن آياه . وهو أحد الكوكبين الملحقين تقول العرب : حضار والوزن ، ملحقان وهما نجمان يطلعان قبل سهيل ، وأنشد ابن بُرِّي :-

أَرَى نَارَ لَيْلَى بِالْعَفِيقِ كَأَنَّهَا حِضَارٌ إِذَا مَا أَقْبَلَتْ وَوَزِينَهَا

وموزن بالفتح ، اسم موضع وهو شاذ مثل موحد وموهب ، وقال كثير :-

كَأَنَّهُمْ قَصْرًا أَوْ مَصَابِيحَ رَاهِبٍ بِمُوزِنِ رُؤْيَىٰ بِالسَّلَيْطِ زِبَالِهَا
هُمُ أَهْلُ أَلْوَا حِ السَّدِيرِ وَيَمْنِهِ قَرَابِينَ أَرْدَافٍ لَهَا وَشَمَالِهَا

وقال كثير عزة :-

بِالْخَيْرِ أَبْلُجُ مِنْ سِقَايَةِ رَاهِبٍ تَجَلَّى بِمُوزِنٍ مَشْرِقًا تِمْنَالِهَا (١)

المبحث الثاني

الموازنة في الاصطلاح :

الموازنة هي أن يسلك الكاتبان أو الشاعران طريقة واحدة ، فتخرج بهما إلى موردين أو روضتين ، وهنا يتبين فضل أحدهما على الآخر . فمنها ما جاء من قول أبي تمام في مرثيته ولدين صغيرين (ابني عبد الله بن طاهر) .

تَأْوَبُ طَارِقًا حَتَّى إِذَا	قُلْنَا أَقَامَ الدَّهْرَ أَصْبَحَ رَاحِلًا
نَجْمَانَ شَاءَ اللهُ أَلَّا يَطْلُعَا	إِلَّا إِرْتِدَادَ الطَّرْفِ حَتَّى يَأْفَلَا
إِنَّ الفَجِيعَةَ بِالرِّيَاضِ نَوَاصِرًا	لَهَا حَلٌّ مِنْهَا بِالرِّيَاضِ وَوَابِلًا
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ مِنْهُمَا	لَوْ أَخْرَتَ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلًا
إِنَّ الهِلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُموهَ أَيْقَنْتَ	أَنْ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلًا
قُلْ لِلأَمِيرِ إِنْ لَقِيتَ مُوقِدًا مِنْهُ	يُرِيبُ الحَادِثَاتِ حَلًا حَلًا
إِنْ تَرَزَّفِي طَرْفَ نَهَارٍ وَاحِدٍ	رَزَّيْنِ هَاجَا لَوْعَةً وَبِلَا بِلَا
فَالثَّقُلُ لَيْسَ مُضَاعَفًا لِمَطْيَبَةٍ	إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهَمًا بَادِلًا
لَا عُرُوَ إِنْ فَنَّنَانَ مِنْ عِيدَانِهِ	لَقِيَا حِمَامًا لِلبَرِيَةِ آكِلًا
إِنَّ الإِشَاءَ إِذَا أَصَابَ مَشْدَبٌ	مِنْهُ أْتَمَهْلُ ذِرًا وَأَنْ أَسَافِلًا
شَمَخَتْ خَلَائِكَ أَنْ يُوَاسِيكَ أَمْرًا	أَوْ أَنْ تُذَكَّرَ نَاسِيًا أَوْ غَافِلًا
إِلَّا مَوَاعِظَ قَادَهَا لَكَ سَمْحَةٌ	أَسْجَاحَ لُبِّكَ سَامِعًا أَوْ قَائِلًا
هَلْ تُكَلِّفَ الأَيْدِي بِهَرٍّ مُهَنْدٍ	إِلَّا إِذَا كَانَ الحُسَامُ الفَاصِلًا

وقال أبو الطيب في مرثيته لطفل صغير :-

فَإِنْ تَكَ فِي قَبْرِ فَإِنَّكَ فِي الحَشَا	وَإِنْ تَكَ طِفْلًا فَالأَسَى لَيْسَ بِالطِفْلِ
وَمَثَلُكَ لَا يَبْكِي عَلَى قَدْرِ سِنِّهِ	وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ الفَرَاسَةِ وَالأَصْلِ
أَلَسْتَ مِنَ القَوْمِ الذِّي مِنْ رِمَاحِهِمْ	نَدَاهُمْ وَمَنْ قَتَلَاهُمْ مُهْجَةَ النَّجْلِ
بِمَوْلُودِهِمْ صَمِتَ اللِّسَانَ كَعْيِرَةٍ	وَلَكِنْ فِي أَعْطَافِهِ مَنْطِقِ الفَصْلِ
تُسَلِّيهِمْ عَلَيَاؤُهُمْ عَنْ مَصَابِهِمْ	وَيَشْغَلُهُمْ كَسْبُ الثَّنَاءِ عَنْ الشُّغْلِ

عَزَاوُكَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمُقْتَدَى بِهِ
تَخَوَّنَ المَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ
بِنَفْسٍ وَوَلِيدٍ عَادَ مِنْ بَعْدِ حَمَلِهِ
بَدَا وَلَهُ وَعَدُّ السَّحَابَةِ بِالرَّوَى
وَقَدْ مُدَّتْ الخَيْلُ العِتَاقُ عِيُونَهَا
وَرِيحَ لَهُ جَيْشِ العَدُوِّ وَمَا مَشَى
وَقَوْلُهُ أَيْضاً :-

فَأَنْكَ نَصْلٌ وَالشَّدَائِدِ لِلنَّصْلِ
وَتَنَصَّرُهُ بَيْنَ الفَوَارِسِ وَالرَّجْلِ
إِلَى بَطْنِ أُمَّ لَا تُطْرَقَ بِالمَحْلِ
وَصَدَّ وَفِينَا غُلَّةَ البَدِّ المَحْلِ
إِلَى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرِّكَابِ مِنَ النُّعْلِ
وَجَاشَتْ لَهُ الحَرْبُ الصَّدُورِ وَمَا تَغْدِي

قَوْلُ المَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ

وَتَنَصَّرُهُ بَيْنَ الفَوَارِسِ وَالرَّجْلِ

وهذا أشرف من بيتي أبي تمام اللذين هما :-

لَا عُرُوَ إِنْ فَنَنَانَ مِنْ عِيدَانِهِ
إِنْ الإِشَاءَ إِذَا أَصَابَ مُشَدَّبٍ
وكذلك قال أبو الطيب :

لَقِيَا حِمَاماً لِلبَرِيَّةِ آكِلَا
مِنْهُ ائْتَمَهْلَ ذُرّاً وَأَنَّ أَسَافِلَا

أَلَسْتَ مِنَ القَوْمِ الذِّي مِنْ رِمَاحِهِمْ
تُسَلِّيهِمْ عَلَيَاوُهُمْ عَن مَصَابِهِمْ

نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلَاهُمْ مُهْجَةَ النُّجْلِ
وَيُشْغَلُهُمْ كَسَبَ الثَّنَاءِ عَنِ الشُّغْلِ

وهذان البيتان خير من بيتي أبي تمام اللذين هما :

شَمَخْتَ خِلَالِكَ أَنْ يُوَاسِيكَ أَمْرُؤُ
إِلَّا مَوَاعِظَ قَادَهَا لَكَ سَمْحَةٌ

أَوْ أَنْ تُذَكَّرَ نَاسِيَاً أَوْ غَافِلَا
أَسْجَاحَ لُبِّكَ سَامِعَاً أَوْ قَائِلَا

ومما ينظم بهذا ما رواه عليه البحترى وأبو الطيب المتتبي في وصف الأسد،
وقصيدتهما مشهورتان فأول إحداهما :

أَجْدَكَ مَا يَنْفِلُونَ يُسْرِي لِرَيْنَبَا
وأول الأخرى :

خَيَالٌ إِذَا آبِ الظَّلَامِ تَأَوَّبَا

فِي الخَدِّ إِنْ عَزَمَ الخَلِيْطُ رَحِيْلَا

مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الخُدُودُ مُحَوَّلَا

أما البحترى فإنه ألم بطرف مما ذكر بشر بن عوانه في أبياته الرائية التي
أولها :-

أَقَاطِمُ لَوْ شَهِدْتَ بِبَطْنِ خَبْتِ

وَقَدْ لَاقَى الهَزِيرُ أَخَاكَ بُشْرَا

وهذه الأبيات على النمط العالي الذي لم يأت أحد بمثله وكل الشعراء لم تسم قرائحهم إلى استخراج معنى ليس بذكر فيها ، ولولا خوف الإطالة لأوردتها بجملتها ، لكن الغرض هو المفاضلة بين البحري وأبي الطيب فيما أوردها من هذا المقصد المشار إليه . فتأمل أيها الناظر إلى صنع هذان الشاعران في هذا المقصد الواحد وكيف هام كل واحدٍ منهما في وادٍ منه مع اتفاقهما في بعض معانيه وسأبين لك ما اتفقا فيه وما اختلفا ، وأذكر الفاضل من المفضل فأقول :

١/ أما الذي اتفقا فيه فإن أبا تمام قال :

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ مِنْهُمَا لَوْ أُخِّرْتُ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلًا

وأما أبو الطيب فإنه قال :

بَمَوْلُودِهِمْ صَمَتَ اللِّسَانِ كَغَيْرِهِ وَلَكِنَّ فِي أَعْطَافِهِ مَنْطِقُ الفَصْلِ

فأتى بالمعنى الذي أتى به أبو تمام وزاد عليه بالصناعة اللفظية وهي المطابقة في قوله :

(صمت اللسان، ومنطق الفصل)

٢/ نَجْمَانِ شَاءَ اللهُ أَلَّا يَطَّلَعَا إِلَّا ارْتَدَادَ الطَّرْفِ حَتَّى يَأْفَلَا

وقال أبو الطيب :

بَدَأَ وَلَهُ وَعَدُّ السَّحَابَةِ بِالرَّوَى وَصَدَّ وَفِينَا غُلَّةَ البَلَدِ المَحَلِّ

فوافق في المعنى وزاد عليه بقوله : (وصد وفينا غلة البلد المحل) لأنه

بين قدر حاجتهم إلى وجوده وانتفاعهم بحياته .

وأما ما اختلفا فيه فإن أبا الطيب أشعر فيه من أبي تمام وأبو تمام وإن كان أشعر عندي من أبي الطيب فإن أبا أيضاً وذلك معناه ، مبناه أحكم من مبناه . وربما أكبر هذا القول جماعة من المقلدين الذين يقفون مع شبهة الزمان وقدمه .

لا مع فضيلة القول وتقدمه ،الطيب أشعر منه في هذا الموضع ، وبيان ذلك أنه تقدم هذا القول على ما اتفقا فيه من المعنى ، فأما الذي اختلفا فيه إن أبا الطيب قال :

عَزَاوُكَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمُقْتَدَى بِهِ فَإِنَّكَ نَصْلُ الشَّدَائِدِ لِلنَّصْلِ

وهذا البيت بمفرده خيرٌ من بيتي أبي تمام الذين هما :

إِنْ تَذُرْ فِي طَرْفِ النَّهَارِ وَاحِدٌ رَزَائِنَ هَاجَا لَوْعَةً وَيَلَا بِلَا

فَالثَّقْلُ لَيْسَ مُضَاعَفًا عَطِيَّةً إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهَمًا بَاذِلًا

فإن قول أبي الطيب (والشدايد) أكرم لفظاً ومعنى من قول أبي تمام ، إن الثقل يضاعف للباذل العطايا . (١)

الفصل الثاني

السيرة الذاتية

المبحث الأول :

السيرة الذاتية للدكتور طه حسين "اسمه ، مولده ، تعليمه ، مؤلفاته ، وفاته"

المبحث الثاني :

السيرة الذاتية للدكتور عبد الله الطيب "اسمه ، مولده"

المبحث الأول

الدكتور طه حسين :

" ١٣٠٧هـ - ١٣٩٣هـ "

" ١٨٨٩م - ١٩٧٣م "

المطلب الأول :

اسمه مولده وتعليمه :

هو طه حسين بن علي بن سلامة . دكتور في الأدب من كبار المحاضرين ، جدد مناهج وأحدث ضجة في عالم الأدب العربي . ولد في قرية الكيلو بمفاغة من محافظة الميناء بالصعيد المصري وأصيب بالجذري في الثالثة من عمر فكف بصره وبدأ حياته في الأزهر ثم الجامعة المصرية القديمة ونال شهادة الدكتوراه منها بكتاب ذكرى أبي العلاء . وسافر في بعثة باريس فتخرج بالسوربون وعاد إلى مصر فاتصل بالصحافة وعين محاضراً في كلية الآداب بالجامعة المصرية "جامعة القاهرة " ثم عميداً لتلك الكلية فوزيراً للمعارف وعين عضواً عاملاً في المجمع اللغوي بمصر في نوفمبر ١٩٤٠م وعضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق ثم رئيساً بمجمع اللغة بمصر وحصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة ليون ومونيلية وروما وأثينا ومدريد وأكسفورد . كان يجيد الفرنسية واللاتينية واليونانية وكان طه واثقاً من أسلوب حياته سأله شفيق جبيري قائلاً له : إذا رجعت إلى طفولتك الأولى فهل تغير شيئاً في حياتك ؟ فقال إذا رجعت إلى طفولتي الأولى فإنني لا أغير شيئاً في حياتي بل أعيش العيشة نفسها التي عشتها في كل الوجوه . وتوفي بالقاهرة في ٢٩ تشرين الأول ١٩٧٣م .

ومن آثاره :

في الشعر الجاهلي ، في الأدب الجاهلي ، حديث الأربعاء " ثلاثة مجلدات " ، قادة الفكر ، على هامش السيرة " ثلاثة أجزاء " ، مع أبي العلاء في سجنه ، مع المتنبي ، أحاديث الأيام والحب الضائع .

المطلب الثاني :

آراء د / طه حسين وإمارة الشعر :

يقول الدكتور محمد رجب البيومي :

ظل الدكتور طه حسين طوال حياة شوقي حريصاً على نقده فإذا اعترف له في مقال ما بمزية فنية أتبعها بنقادات لا تصيب مرماها غالباً وإن صدقت أحياناً وقد أثر عليه حافظ إبراهيم في مضمار الرثاء حيث أختار من قصائد شاغر النيل ما أرتقى إلى مرتبة التفوق على سواه وشوقي لم يكن مقصراً في مراثيه ، بحيث يجوز لناقد منصف أن يرتفع بحافظ عليه وحافظ نفسه يستشعر سروراً جماً حين يرى من يقرنه بشوقي في غرض ما في الأرض فيجعله في مرتبته دون أن يزيد ، وحين بايع الشعراء شوقي لإمارة الشعر تحاشي طه حسين أن يعلن إرتيابه لهذه المبايعة وعدها خطأ يتطلب التصحيح ، وما جمع من مقالات طه حسين في كتاب " حافظ وشوقي " يحدد موقفه الأدبي من الشعارين الكبيرين على وجه صريح ، كل هذه المقالات التي نشرت في حياة شوقي باستثناء المقال الأخير الذي جاء تحت عنوان " حافظ وشوقي " إذ طلبت مجلة الهلال من الناقد الكبير أن يخصصها بمقال تحليلي عن الشعارين عقب رحلتها إلى عالم الخلود فكتب هذا البحث الضافي المستوعب وقد كان طه حسين في مقاله السالف أقرب إلى الإنصاف إذا قيس بما كتبه من قبل وقد كتب الدكتور بحثه التحليلي بقوله :¹ كلا الشعارين غذى قلب الشرق العربي نصف قرن أو ما يقارب من نصف قرن بأحسن الغذاء ، وكلا الشعارين مهد أحسن تمهيد للنهضة الشعرية المقبلة التي لا بد أن تقبل ، هما أشهر أهل الشرق العربي منذ مات المتنبي وأبو العلاء .

¹ حافظ وشوقي ص ١٩١ ط ١٩٧٣ م .

من غير شك هما ختام هذه الحياة الدبية الطويلة الباهرة التي بدأت في نجد وأنتهت في القاهرة وعاشت خمسة عشر قرناً أو أكثر ، والتي تسحيل وتتطور وتستقبل لوناً جديداً من ألوان الفن وضرباً جديداً من ضروب المثل العليا في الشعر . هما أشعر العرب في عصرها .

حيث يرى الدكتور طه حسين أن الشاعرين الكبيرين هما أشعر أهل الشرق العربي منذ مات المتنبي وأبو العلاء . وأنهما أشعر العرب في عصرها ولم يبدو الدكتور طه حسين من الآراء ما يخالف هذا القول فيما بعد ولا يؤاخذ الناقد حيث يعدل عن رأى قراره . ثم يبدو له أن يتجاوزه ، ولكن راصد هذه الآراء يجد في تدوينها ما تعطي معنى الشمول في حكم تختلف فيه الأنظار وتتهض بواجبها وإذا الشعر الجديد يفرض نفسه على العرب فرضاً وإذا الشعور المصري والقلب المصري والعواطف المصرية لا ترضي أن تصور كما يصورها حافظ إنما تريد وتأبى إلا أن تصور تصويراً جديداً هذا التصوير الذي ترونه في العقاد والذي حمل هؤلاء الملايين على إكبار العقاد .

ضعوا لواء الشعر في يد العقاد ، وقولوا للأدباء والشعراء أسرعوا واستظلموا بهذا اللواء فقد رفعه لكم صاحبة :

تعليق الرافعي على طه حسين :

كان الرافعي يرحمه الله ، أدرى الأدباء بسريرة طه حيث نادى بأمانة العقاد للشعراء ، وهو في صراحته الكاشفة لا يفضي عن مأخذه وقد شاء أن يعقب على خطبة حسين بما عرف عنه من التهكم المرير . والحق أن كثيراً من ضايقتهم هذا الصنيع قد آثروا السلامة ، إما اتقاءً لغضب العقاد وطه أو رعاية لود متصلة أسبابه بهما على وجه لا يقبل الملامات ، ولكن مصطفى صادق الرافعي قضي شطراً كبيراً من حياته في مناداة الأديبين الكبيرين وقد ألف على الفور في ثلب العقاد كما كتب أكثر فصول كتاب " تحت القرآن "

في مخاصمة طه وكل ما سيقوله بعد هذين الكتابين هين يسير . ولقد أعلن الرافي في تهكمه الساخر أنه حيث قرأ كلام طه : " لم يبحث عن سخرية طه بالعقاد وبالشعراء جميعاً في أسلوب صاغه كأسلوب المرأة العربية التي صرخت في وجوه قومها قائلة :

فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَغْضَبُوا بَعْدَ هَذِهِ فَكُونُوا نِسَاءً لَا تَغِيبَ عَنِ الْكَلِّ

غير أن طه حسين في سخرية بهؤلاء الشعراء حين أمر عليهم العقاد كالذي يقول إذا لم تثبتوا أن فيكم من استطاع أن يخلف شوقي فأصغروا وأصغروا حتى يكون العقاد أميركم ومضى الرافي يتساءل عن الحكمة في أن طه لم يرسل هذه الشهادة إلا حين أنضم إلى حزب الوفد ، أفلو كان العقاد غير رجال استرخاء طه لعزيمة أو منافسة على الأقل في وقت يخشى فيه التهاب الحريق (١) .

إمارة جديدة

سخرية الهراوي ومجموعته :

وإذا كان الأستاذ الهراوي وشيعته الذين يلتقون حوله ، من أمثال الكاشف والقاياتي وأحمد نسيم قد يرمون بأمره الشعر لشوقي وهو أقرب إلى اتجاههم الفني من العقاد فإن مبايعة العقاد بالإمارة قد دفعتهم ، مبايعة على الشيخين (٢) ثم ينشد في ذلك أبياتاً فيها معارضة وفيها شدة وفيها جمال ، أما سوربة فلا يرضيها أن تمر الزعامة بأرضها إلى العراق فهبت تدفع رأي الدكتور في حدة وعنق وتقول ، ما للدكتور يرسل الزعامة إلى العراق هل أعتبط بهذا الزعامة ؟

(١) مع المتنبي للدكتور طه حسين ص ١٦ - ١٧

(٢) الرسالة العدد الأول إلى العدد العاشر ١٥/١/١٩٣٣م

أما الرصافي فيرجو أن يكون خليفة لشوقي وحافظ ثم يسعه ما وسعها
في حكم التاريخ وتقدير النقد ، وأما الزهاوي فأنا أعلم أنه يؤثر أن يكون في
ساحة المجددين على أن يكون في طليعة المقلدين .

هذا لباب ما قاله الزيات ، أما الأبيات وصفها بالشدة والمعارضة
والجمال فهي قول الأستاذ الزهاوي في مبايعة شوقي :

إِنْ شَوْقِي شَاعِرٌ كُنَّا أَجَلَهُ
غَيْرَ أَنَا مَعَشَرٌ لَيْسَ يَرْضَى ذُلَّهُ
وَهِيَ جُمْهُورِيَةٌ لَا نَرَى مَحَلَّهُ

ومن الطريف أن الشاعر الذي لم يعترض على قول الدكتور هو الأستاذ
خليل مطران ، وهو خلق كريم يعهده فيه أصدقاؤه ومخالطوه ، وإذا كانت
جماعة الهراوي أعلنت الضجيج فإن مطران هو القائل في رثاء شوقي:

الصَّاحِبَانِ الْأَكْرَمَانِ تَبَاعَدَا فَعَلَّامَ الصَّاحِبِينَ بَقَائِي
أَيْرَادُ مِنْ فَضْلِ مَا مَجْرَابِهِ أَرَيْتُ ؟ إِذْ جَهَلَ الزَّمَانُ وَقَائِي

وكانه بالبيت الأخير قد أعلن عن زهده في الألقاب عن سماحة كان من
اللائق بذوي الاعتراف أن يحتذوها . ولكن المشارب تختلف بين طموح وقنوع .
رأي طه حسين في إمارة العقاد :

أنضم طه حسين إلى الوفد في مارس سنة ١٩٣٣م ليكون كاتباً سياسياً
في جريدة " كوكب الشرق " الوفدية وطه يعرف أنه كان عدواً لدوداً للوفد من
قبل كما يعلم أن الأستاذ محمود العقاد هو كاتب الوفد الأول الذي خاصم
أعداءه في لدد وجبروت ومنهم طه حسين نفسه حين كان صوتاً لحزب الأحرار
الدستوريين فهو في حاجة ماسة إلى استرضائه وملاينته لأنه يطبق ما يطبق
دون أن يقدر على منازلة العقاد ،

لقد صار في موضع الموازنة والمقارنة ، وللعقاد شموسه وجماعه ، فهو لا يراعي حق الزمالة في لحزب إذا تعارضت من منازعه الأدبية وكبريائه الذاتية وطه يعرف ذلك ويخشاه ، وإذن فلا بد من استحالة العقاد واستعطافه وقد اتاحت الفرصة بظهور ديوان " وحي الأربعين " وقد واجه عاصفة نقدية تزعمها الأستاذ صادق الرافعي وتلاميذه كما قابلها بالهجوم الحاد الأستاذ العقاد وتلاميذه أيضاً ، ولقد فكر طه في أن يرمي بدلوه في الماء ليشبع ديوان العقاد مدحاً وإطراءً وليعلن ارتفاعه الفكري وسموقه الفني ، جوار مؤاخذات طفيفة يعلم أنها تعويذه لا تغضب العقاد ومن ثم فقد امتشق القلم ليكتب مقالاً ضافياً بمجلة الرسالة عن وحي الأربعين يقول فيه الدكتور طه حسين :

" إن الذين يقرءون شعر العقاد ويذوقونه هم المثقفون المستثيرون الذين تعودوا أن يقرءوا الشعر وأن يفهموه ، وأن يقرأوا شعراً أصعب من شعر العقاد وأشدّ أمعناً منه في الغموض فيستطيع العقاد أن يحسن بهم الظن ، وأن يخلي بينهم وبين شعره ليفهموه كما يريدون وكما يستطيعون وليس على العقاد بأس أن يفهم شعره أحياناً على غيره ما أراد ، فمن يدري ؟ لعله يكون مخطئاً ويكون قارئه مصيباً ومن يدري ؟ لعله يعود شعره يقرءوه فيفهم منه غير ما كان أراد ، قد يكون هذا عيباً في النثر ، لكنه مزية من مزايا الشعر الرائع " ثم ختم المقال الضافي بقوله :

أعترف بأنني قرأت وحي الأربعين مرتين ، وأود أن أقرأه مرة مرة وأنني واثق بأنني ساجد في قراءته المقبلة من اللذة والمتاع ما يجعلني فيها راغباً وعليها حريصاً .

هكذا ألقى طه حسين السلم للعقاد عن طوع ، ولم يعقب العقاد على قول صاحبه ولم يعر مدحه المسرف ونقده الطفيف التفاتاً ما ،

ولكن طه لا ييأس من محاولة اصطناع الرجل ، أو ضمان حياده على الأقل.

وحيث أقام الوفد المصري حفل تكريم للأستاذ العقاد لإحدى المناسبات السياسية واحتشد لها صفة من رجال الأدب وكتابة وكان على الدكتور طه حسين أن يلقي كلمة ترضي العقاد وتستميله . والدكتور طه أذكى من أن يطنب في مدح العقاد الكاتب لأنه سيضطر إلى أن يقول ما يظنه خفضاً هو بالقياس لكاتب الوفد الأول . وإذن فلا بد أن يتحدث عن العقاد الشاعر ومجال الحديث عن شاعرية العقاد لا يفسح على أتم وجه إلا إذا كان العقاد شاعر مصر الأول بل أمير الشعر المعاصر . وهي دعوى لم يجد الدكتور طه حسين حرجاً في أن يذيعها مريده بما يملك من البرهان بل بما يملك من المغالاة حين قال : ببعض التصرف (٣) .

"إني لا أؤمن في هذا العصر بشاعر كما أؤمن بالعقاد أؤمن به وحده لأنني أجد عند العقاد ما لا أجد عند غيره من الشعراء لأنني حين أسمع شعر العقاد أو حين أخلو إلى شعر العقاد فإني أسمع نفسي أو أخلو إلى نفسي إنما أرى صورة قلب الجيل الذي نعيش فيه ، لأن العقاد ليس مقلداً ولا يستطيع أن يكون مقلداً ولو حاول التقليد لفسدت شخصيته فوق الفساد كما أيها السادة نشفق على الشعر العربي وكنا نخاف أن يرحل سلطانه عن مصر وكنا نتحدث حين مات الشاعران العظيمان شوقي وحافظ عن علم الشعر المصري أين يكون ؟ ومن يرفعه للشعراء والأدباء ليستظلوا به ؟ لقد انتظرت فلم أجد للمقلدين حركة ونشاطاً ، فإذا المدرسة القديمة قد ماتت بموت شوقي وحافظ وإذا المدرسة الجديدة قد أخذت تؤدي حقها .

(٣) جريدة الجهاد ٢٩/٤/١٩٣٤م - نقلاً عن كتاب المعارف الأدبية للأستاذ أنور الجندي ص ٥٦ وما بعدها

المطلب الثالث :

رأيه في إمارة شوقي للشعر :

أما رأيه في إمارة الشعر لشوقي " فيقول الدكتور محمد رجب " :

لم يعترف الدكتور طه حسين لشوقي بإمارة الشعر حيث أقيم حفل المبايعة بل ذكر الدكتور ذكي مبارك أن الدكتور طه تعمد أن يلقي محاضرة عن الأخطل الشاعر الأموي في حفل لتكريم شوقي وكأنه بهذا الإغفال المتعمد أراد أن يتهم بالمبايعة المعلنة ، وحين أنقل شوقي إلى رحمة الله بادر الدكتور فأعلن أن إمارة الشعر قد انتقلت بعد شوقي من مصر إلى بغداد وكان هذا الإعلان مثار ضجة في العالم العربي إذ كان غير متوقع أبداً لأن الدكتور قد أعلن في حياة شوقي وحافظ ومطران أكبر منها شأناً ، وسيأتي اعترافه بذلك وأنه وفق في عالم الشعر إلى ما لم يوفقا إليه ، فكيف يجوز للدكتور أن يتجاهله حين يعترف بأن زعامة الشعر قد نقلت من مصر إلى العراق .

لقد قال قوم يمالئون الدكتور طه حسين أنه لم يذكر مطران لأنه مجدد لا مقلد وأن الدكتور يقصد بإمارة الشعر التقليدية لمن ينهج نهج شوقي ، ولكن الزهاوي بالعراق لم يكن مقلداً ، ولا يسير مع إتجاه شوقي في طريق . فكيف يقبل هذا التعليل ؟ ويقول آخرون إن في دأب الدكتور طه حسين أن يصدر من الآراء ما يحدث الفرقة والدوي فهو متعمد المخالفة تعمداً . ليدوي رأيه شرقاً وغرباً فيحدث ما يريد من الضجيج وله في ذلك سوابق ولواجب يعرفها دارسوه دون إنكار ، وما ذكره من إنتقال الزعامة الشعرية إلى العراق هو من هذا المنحى إذ لا يعبر عن الحقيقة قدر ما يعبر عن سلوك طبع عليه الدكتور .

ورآه ذا أثر فعال في تداول آرائه بين القراء ، معارضة وتأييداً مهما يكن

من شئ فقد قامت المعارضة الصاخبة التي توقعها الدكتور ،

وقامت شديدة مرتفعة في بعض الصحف معتدلة هادئة في بعضها الآخر ولعل مجلة الرسالة هي وحدها التي مثلت هذا الاعتدال . فقد صادف عددها الأول موسم هذه الضجة وإذا لم تتحدث الرسالة عن الزعامة الشعرية في العالم العربي ففي أي شيء تتحدث مجلة الأدب الراقي والفن الرفيع ؟ وإذا كان الأستاذ الزيات من ذوي الأسلوب الهادي الذي يصل إلى الهمس في بعض الأحاديث ، فإنه تحدث عن رأي صديقه الدكتور طه حسين في لباقة صحيفة تتجلى في ما تنقله ببعض التصرف حين قال :

" خلا ميدان الشعر فجأة من قائديه العظميين فحدث في صفوف الشعر اضطراب وفوضى وقام أصحاب " السقيفة " المقلدون والمجددين يقولون منا أمير ومنكم أمير وهنا أرسل الدكتور طه حسين حكمه المعروف فزاد الخلاف شدة والجدال حدة قضى للعراق بإمارة الشعر التقليدي فغضبت مصر وكان الأستاذ الهراوي أشد المصريين حنقاً وأعنفهم خصومة فهو يقول باستنكار وأنفة انه بايع الشاعرين الهازي في مبايعة شعرية لنساخ أمي يشتغل في دار الكتب فعقدوا اجتماعاً قرروا فيه إقامة حفل أدبي لهذه المبايعة ونظموا قصائد للبيعة في ظاهرها الرحمة وفي باطنها العذاب ، والأمير المسكين قد غلب على أمره فظن الهزل جداً وتصدر الحفل ليسمع وجوم الهراوي والأسمر والكاشف وكامل كيلاني والقياتي وعبد الجواد رمضان وحسين شفيق المصري حيث قال الأستاذ عبد الجواد رمضان :

دَعْنِكَ وَقَدْ تَوَافِدْتَ أَبُوهَا	وَهَلْ يَحْوِي الْعُلَا إِلَّا بَنُوهَا
أَمِيرُ الشَّعْرِ وَإِنْ تَعَالَى	وَأَسْرَفَ فِي الدَّعَايَةِ مَدَّعُوهَا
جِياعٌ تَأْجَرُوا بِاسْمِ الْقَوَافِي	وَقَدْ رَبَّحُوا الْحَيَاةَ أَخْسَرُوهَا
فَقُلْ لِأَوْلَيْكَ الْحَمَقَى رَوِيْدًا	تَلُونُ الْفَرَقْدِينَ وَلَنْ تَلُوهَا
سَأَحْمِي وَأَزُودُ عَنْهَا	رَعَانِفَ لِلرَّذِيلَةِ سَخَّرُوهَا
وَهَلْ خَلَّفَتْ جَلَالَهَا لِغَيْرِي	فَشَعْرِي أُمَّهَا وَأَنَا أَبُوهَا (٤)

(٤) حديث القلم للدكتور محمد رجب البيومي ص ٥٨٢ وما بعدها .

ولكن سرعان ما تراجع الدكتور طه حسين وأعلن أن العقاد ليس كما ذكر من قبل حامل لواء الشعر العربي ومجدد طريقته وذلك بعد أن انقطعت صلته السياسية بالوفد وكذلك انقطعت هذه الصلة بالأستاذ العقاد حين تحدث الدكتور طه حسين عن مطران في مجلة الحديث اللبنانية وفي جريدة الأهرام وفي مناسبة تكريم الخليل قبل وفاته وكان مما قاله (٥) .

تحية لك أيها الصديق الكريم من صديق تعرف أكباره لأدبك وإعلانه في كل قطر زاره في أقطار الأرض في الشرق والغرب أنك زعيم الشعر العربي المعاصر وأستاذ الشعراء العرب المعاصرين لا يستثنى منهم أحداً حيث رسمت للمعاصرين الطريق الوسطى التي تمسك على الأدب العربي شخصيته الخالدة وتتيح له أن يسلك سبيله إلى الرقي والكمال .

(٥) حياة مطران للأستاذ طاهر الطمامي ص ٣٧ .

المبحث الثاني

السيرة الذاتية للدكتور عبد الله الطيب :

- ولد بغرب الدامر في ٢٥ رمضان ١٣٣٩هـ الموافق الثاني من يونيو ١٩٢١م .
- والداه الطيب عبد الله وعائشة جلال الدين الطيب وهو ابن محمد بن أحمد بن محمد المجنوب .
- تعلم بمدرسة كسلا والداير وبربر وكلية غردون بالخرطوم والمدارس العليا ومعهد التربية بخت الرضا وجامعة لندن بكلية التربية ومعهد الدراسات الشرقية والأفريقية .
- نال الدكتوراة من جامعة لندن SOAS سنة ١٩٥٠م
- عمل بالتدريس بام درمان الأهلية وكلية غردون وبخت الرضا وكلية الخرطوم الجامعية وجامعة الخرطوم وغيرها .
- تولى عمادة كلية الآداب بجامعة الخرطوم سنة ١٩٦١م إلى العام ١٩٧٤م .
- كان مديراً لجامعة الخرطوم ١٩٧٤ - ١٩٧٥م
- أسس كلية باييرو بكنو بنيجيريا وهي الآن جامعة مكتملة .
- عمل أستاذاً للغة العربية بالمغرب في كلية الآداب بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس سنة ١٩٧٩م
- له عدة مؤلفات منها " المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها " ثم " الأحاجي السودانية " ، " ونافذة القطار " .
- له عدة دواوين شعرية مثل " أصداء النيل " ، " وبنات رامة " ، وأغاني الأصيل " ، " وزواج السمر " .

- عضو بمجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ مارس ١٩٦١ م .
- أول رئيس لمجمع اللغة العربية بالخرطوم .
- منح درجة الدكتوراة الفخرية من جامعة الخرطوم ١٩٨١ م ، ومن جامعة باييرو بكنو بنيجيريا ١٩٨٨ م ، ومن جامعة الجزيرة بالسودان ١٩٨٩ م .
- مشارك في عدة مؤتمرات في السودان وخارجه .
- له مساهمة في الصحافة والإذاعة والتلفزيون .
- فسر القرآن الكريم في إذاعة أم درمان بين ١٩٥٨ م - ١٩٦٩ م مع تلاوة الشيخ صديق أحمد حمدون رحمه الله رحمة واسعة .
- لقي ربه صباح يوم الخميس ١٩ / ربيع الثاني ١٤٢٤ هـ الموافق ١٩ يونيو ٢٠٠٣ م (١)

الفصل الثالث

” مولد المتنبي ”

المبحث الأول :

(١) مولده ونسبه

المبحث الثاني :

(٢) البيئة التي أثرت في تكوينه الفكري والثقافي

مدخل :

لم يتطرق الدكتور عبد الله الطيب في كتابه مع أبي الطيب لمولد أو نسب المتبّي ولذلك سوف نكتفي بالتركيز على مولده ونسبه وطفولته والبيئة التي أثرت على حياته الفكرية ، الثقافية عبر كتاب الدكتور طه حسين (مع المتبّي) ولكن عرفه أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بكر بن خلكان ، في كتابه (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) بقوله " هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المعروف بالمتبّي الشاعر الشهور وقيل هو أحمد بن الحسن بن مرة بن عبد الجبار والله أعلم ^(١)

^(١) وفيات العيان وانباء أبناء الزمان ص ١٢٠

المبحث الأول

مولده ونسبه

يقول الدكتور طه حسين :

وقد تعود الناس أن يؤمنوا بأن المتتبي رجل عربي خالص النسب ينتهي من قبل أبيه إلى جعفي . ومن قبل أمه إلى همدان وهما حيّان من أحياء اليمن فيما يقول المؤرخون والنسابون .

وجائز جداً أن يكون المتتبي عربياً وجائز أن يكون من عرب الجنوب جعفي الأب . همداني الأم ولكن الشيء الذي ليس فيه شك أن ديوانه لا يثبت هذا ولا يؤكد ولعل ديوانه ينفيه نفيّاً هو إلى الصراحة أدنى منه إلى الإشارة والتلميح أكان المتتبي يعرف أباه ؟ قال المؤرخون نعم . ولم يقل المتتبي شيئاً فأنت تقرّ ديوانه من أوله إلى آخره ، وتقرّاه مستأنياً متمهلاً فلا تجد فيه ذكراً لهذا الرجل الطيب الذي أنجب للقرن الرابع شاعره العظيم .

لم يمدحه المتتبي ، ولم يفخر به ، ولم يرثه ولم يظهر الحزن عليه حين مات ، أكان ذلك لأن المتتبي لم يعرف أباه ؟ أم كان ذلك لأن المتتبي عرف أباه ولكنه لم ير له خطراً ، ولم ير في ذكره ما يرفع من شأنه ويرد عنه كيد الكائد وحسد الحسود ؟ أم كان المتتبي يزدرى أباه ويكبر شعره عن أن يقف عنده مادحاً أو هاجياً ونادياً أو راثياً .

كان ذلك ممكناً ولكن الشيء المحقق أن المتتبي كان يؤثر أن ينتسب

إلى السيف (١)

(١) مع المتتبي ، للدكتور طه حسين ص ١٢ - ١٣

والرمح وإلى الحدة والبأس على أن ينتسب إلى هذا الرجل الطيب الذي سماه المؤرخون الحسين ونسبوه إلى جعفي من عرب الجنوب وإذا كان المؤرخون قد اتفقوا على أنهم كانوا يعرفون أبا المتتبي ويسمونه حسينا فإنهم لم يتفقوا على جده ولم يجمعوا على الإسم الذي يلصقونه به فهو الحسين حينا وهو عبد الصمد حينا آخر .

أما أبوه فقد زعموا أنهم كانوا يعرفون عنه شيئا يسيرا جدا حيث كانوا يزعمون أن أبا المتتبي كان سقاء في الكوفة . تحدث المؤرخون بذلك وهم بين متحدث به يريد أن يرفع من شأن المتتبي الذي انحدر من رجل حقير فملا الدنيا وشغل الناس ، وبين متحدث ليضع من شأن المتتبي الذي انحدر من رجل حقير فورث الحقارة . كان أبوه يبيع الماء للناس وكان هو يبيع ماء وجهه على الممدوحين " وإلى هذا أشار بعض الشعراء حين هجاه بقوله :

أَيِّ فَضْلِ لَشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْلَ مِنْ النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا

عَاشَ حِينًا يَبِيعُ فِي الْكُوفَةِ الْمَاءَ وَحِينًا يَبِيعُ مَاءَ الْمَحْيَا

ويقول المتتبي نفسه قد عرف الكثير من أمر أبيه وجده ولكنه كان فيما يظهر غالبا في الغرور مسرفا في الكبرياء ، وكان غروره فيما يظهر أكبر من شعره فأفسد عليه الأمر إفسادا .

ويقول الدكتور طه حسين : " فليس يضع من قدر المتتبي ألا يعرف لنفسه أبا وليس يرفع من شأنه أن يكون أبوه من المجد ونباهة الذكر بحيث كان غالب بن صعصعة أبو الفرزدق وشيخ تميم ويقول الدكتور طه " أنا أقبل من المتتبي في إعجاب لأحد له هذه الأبيات التي هي من أروع ما قال من الشعر :

أَنَا ابْنُ مَنْ بَغْضُهُ يَفُوقُ أَبَا الْبَاحِثِ وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلِهِ
وَإِنَّمَا يَذْكَرُ الْجُدُودَ لَهُمْ مِنْ نَفَرُوهُ وَأَنْفَدُوا حَيْلِهِ

وَسَمَّهَرِيَّ أَرْوْحَ مَعْتَقَلِهِ	فَخَرَّ لِعَضْبِ أَرْوْحٍ مُشْتَمَلَةٍ
مُرْتَدِيًّا خَيْرَهُ وَمُنْتَعَلِهِ	وَلِيُفَخَّرَ الْفَخْرُ إِذَا عَدَوْتَ بِهِ
وَالْمَرْءُ حَيْثُمَا جَعَلَهُ	أَنَا الَّذِي بَيْنَ الْإِلَهِ بِهِ الْأَقْدَارُ
وَعُصَّةً لَا تُسِغُهَا السَّفَلَةُ	جَوْهَرَةً تُفْرَحُ الشُّرَافُ بِهَا
أَهْوَنُ عِنْدِي مِنَ الَّذِي نَقَلَهُ	إِنَّ الْكِذْبَ الَّذِي أَكَادُ بِهِ
وَإِنْ وَلَا عَاجِزٍ وَلَا تَكْلَهُ	فَلَا مُبَالٍ وَلَا مَدَاجٍ وَلَا
فِي الْمُتَّقَى وَالْفَجَاجِ وَالْعَجَلَةِ	وَدَاعٍ نَسَفْتَهُ فَخَرَّ تَعِي
يُحَارُ فِيهَا الْمَنْفَحِ الْقَوْنَةِ	وَسَامِعِ رُعْتَهُ بِقَافِيَةٍ
مَنْ لَا يُسَاوِي الْخُبْرَ الَّذِي أَكَلَهُ	وَرُبَّمَا أَشْهَدَ الطَّعَامَ مَعِي
وَالدَّرَ دَرًّا بِرَعْمٍ مَنْ جَهَلَهُ	وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِي وَأَعْرَفَهُ

فالممتنبي كما ترى لا ينسب نفسه إلى أب كآباء الناس وإنما ينسب نفسه إلى متجروء له بعض يمتاز من كله وبعضه هذا يفوق آباء الباحثين عن نسبه المقتصين لأمره إذن لا ينتسب إلى الرجال لأنه لا يرد أو لا يستطيع أن يجد في الانتساب إلى الرجال غناء ، وإنما ينتسب إلى معنى بعضه يغني عن كل غيره وقليله يغني عن كثيره وهو ينتسب إلى البأس والشدة وإلى المروءة والنجدة وإلى إرتفاع الهمة وبعد الأمل وحسن البلاء به يفخر السيف إن اشتمل السيف ، وبه يفخر الرمح إن اعتقل الرمح وبه يفخر الفخر إن اكتساه ثوباً أو احتذاه نعلأ (١)

ويقول الدكتور طه حسين : مع أن هذه الأبيات تصور ضعف الممتنبي من ناحية نسبه أبلغ تصوير وأقواه ، فهي في الوقت نفسه تصور فتوة الممتنبي وحسن رأيه في نفسه وقوة إيمانه بهذه النفس وصدق معرفته للناس ،

وشدة إزدرائه لهم واستهزائه بهم لأنه قد علم من حقائقهم ودخائل أمورهم ما دفعه دفعاً إلى هذا الإزدراء والاستهزاء . أما عن أمه فنحن لا نعرف اسمها ، ولا نعرف أباهما ، ولا نعرف أكانت عربية من قبل أبيها أم عجمية وكل ما نعرفه أن أمها عطف على المتتبي وأحلبته وكلفت به وعمرت حتى رأته رجلاً ، وهذه السيدة التي قتلها حب حفيدها فيما يقال وكما سنرى ، لا نعرف لها اسماً ولا أباً وإنما نعرف أن بعض الرواة كانوا يقولون أنها همدانية صحيحة النسب أنها كانت من صوالح نساء الكوفة وهذا ما يعرفه عنها التاريخ وهو كذلك كل ما يعرفه عنها ديوان المتتبي ، فديوان المتتبي لا يذكر نسبها ولا يشير إليه ولعله يشكك فيه بعض التشكيك بهذا البيت الذي أملاه الغرور وصاغته الكبرياء ووضعه جموح الشاعر في غير موضعه من الرثاء وهو قوله :

لَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدٍ لَكَانَ أَبَاكَ الضَّخْمُ كَوْنِكَ لِي أُمًّا

فأقل ما في هذا البيت أن المتتبي يذكر لنا أن جدته قد كانت بنت أكرم والد ولكنها لم تكن محتاجة إلى هذا النسب لأنه حفيدها (١) .

نحن إذا انتهينا إلى قرارة الأشياء لا نكاد نشك في أن المتتبي كان عربياً ولكن بشرط أن نفهم من لفظ العربي معنى أوسع واعمق وأصدق مما كان يفهمه النسابون في العصور الأولى ومما يفهمه المقلدون من الأدباء في العصر الحديث ليس من الحق إذن أن العربي لا يكون عربياً حتى يحفظ لنفسه أو يحفظ الناس له نسباً صريحاً ينتهي به إلى قبيلة من القبائل ولو كان هذا حقاً لتغيرت كثير من القيم التاريخية والمعاصرة فأكثر الذين كانوا يرون أنفسهم عربياً في العصور القديمة لم يكونوا يحفظون أنسابهم في أكبر الظن والتاريخ لم يحفظها عنهم على كل حال .

(١) مع المتتبي للدكتور طه حسين ص ١٦ - ١٧

أفنجدهم الآن أنهم كانوا عرباً لأن أنسابهم لم تصل إلينا ؟ وأكثر المعاصرين من الشعوب العربية في الشرق الأدنى لا يحفظون أنسابهم ولا يستطيعون أن يرقوا إلى عدنان أو قحطان أفنجدهم من العنصر العربي الصريح ؟ وما هذا العنصر العربي الصريح ؟ وكيف السبيل إلى تحقيقه واستخلاصه من العناصر المختلفة التي لا تختص والتي اتصلت به وأثرت فيه على تتابع الأحداث ومر العصور .

كان المتنبّي يرى أنه عربي وسار حياته كلها سيرة ملائمة لهذا الرأي ولعل هذا الرأي كان أبلغ المؤثرات في حياته العملية ، وهو أبلغ المؤثرات في صيانة الغنية على كل حال أنبأنا المتنبّي برأيه في نفسه حين قال :

لَا بِقَوْمِي شَرَّفْتُ بَلْ شَرَّفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي
وَبِهِمْ فَخَرَّ كُلُّ مَنْ نَطَقَ الضَّادُ وَعَوْدَ الْجَانِي وَعَوْتَ الطَّرِيدِ

يقول طه حسين :

فأعلم يا سيدي أنني لم أثر هذه المناقشة الطويلة لأعرف أكان المتنبّي عربياً أم أعجمياً وإنما أثرتها لأنتهي منها إلى حقيقة يظهر أنها لا تقبل الشك ، وهي أن المتنبّي لم يكن يستطيع أن يفاخر بأسرته ، وألا أن يعنيني وإنما الذي يعنيني ويجب أن يعنيك هو شعور المتنبّي الصبي بهذا أثر في شخصيته ، وبغض إليه الناس وفرض عليه أن يرى أن حياته بينهم لم تكن حياة أترابه ورفاقه وإنما كانت حياة يحيط بها كثير من الشذوذ^(١)

المبحث الثاني

" النشأة والبيئة " التي أثرت في تكوينه الفكري والثقافي :

يرى الدكتور طه حسين أن طفولة المتنبي مجهولة بالطبع كطفولة غيره من الشعراء الذين عاصروه أو سبقوه وليس في ذلك شيء من الغرابة ما دمنا نجهل أمر أسرته الخاصة أو نكاد نجهل من أمرها شيئاً عن أمه . ولا نكاد نعرف أو لا نعرف شيئاً عن أبيه فطبيعي ألا نعرف عن طفولته شيئاً والذي نعرفه عن صبا المتنبي ينقسم إلى قسمين :

أحدهما ينبئنا به الرواة وأن أقف منه موقف التحفظ والاحتياط ولكني لا أهمله ولا أبغيه ، والآخر ينبئنا به المتنبي نفسه فيما حفظ لنا ديوانه من شعر الصبا وأنا أطمئن إليه اطمئناناً ما . وأخذه أخذ الناقد الذي لا يصدق كل ما يُلقى إليه من غير تفكير .

فأما الرواة فيحدثوننا أن المتنبي دفع إلى مدرسة من مدارس العلويين أو إلى مكتب من مكاتب العلويين ⁽¹⁾ فبدأ في هذه المدرسة تعلمه ولا يزيد الرواة على هذا الخبر شيئاً يفصله أو يوضحه . ولكن المتأخرين والمحدثين منهم خاصة يذهبون في فهم هذا الخبر مذهباً أقل ما يوصف به أنه لا يخلو من مبالغة فهم ويظنون أن هذه المدرسة العلوية كانت مدرسة أرسطراطية ممتازة وهم بعد ذلك يرسلون لأنفسهم العنان في تفسير اختلاف الصبي إلى هذه المدرسة العلوية الأرسطراطية ويفسرونه تفسيرات مختلفة .

أما أنا فلست أدري أكانت المدرسة العلوية هذه ممتازة وأرسطراطية حقاً أم لا كغيرها من المدارس ولكنها تعلم على مذهب الشيعة العلويين فكان العلويون يؤثرون أن يرسلوا إليها أبناءهم ،

(1) خزانة الأدب ج ١ ص ٣٨٢ طبع القاهرة .

فلفظ العلويين في هذا الخبر عندي يوشك أن يكون مرادفاً للفظ الشيعة وواضح جداً أن المدارس في مدينة كمدينة الكوفة كانت تختلف باختلاف السكان لهذه المدينة فللشيعة مدارسهم وللسنيين منهم مدارسهم أيضاً وجائز أن تسمى مدارس الشيعة مدارس علوية ، كما تسمى مدارس أهل السنة مدارس عباسية .

وأكبر الظن عندي أيضاً أن الأرسطراطيين الممتازين من الشيعة العلوية ومن أهل السنة ، لم يكونوا يرسلون أبناءهم في طور الصبا إلى المدارس العامة (١) وإنما كانوا يتخذون لهم الأساتذة والمؤدبين فإذا شبعوا خلوا بينهم وبين الاختلاف إلى مجالس العلماء والعلم في الأندية والمساجد الجامعة . إنما كان أوساط الناس وعامتهم هم الذين يرسلون أبناءهم إلى هذه المكاتب والمدارس . للشيعة العلويين مكاتبهم ومدارسهم ، ولأهل السنة مكاتبهم ومدارسهم أيضاً فاختلف المتنبي إلى هذه المدرسة العلوية لا يدل على امتياز ولا استثناء وإنما يدل على الاتجاه الديني الذي وجه إليه ، ويدل على أن الذين كانوا يكفلونه ويقومون على تربيته وتنشئته كانوا من الشيعة العلويين .

ولسنا في حاجة في أن نطيل البحث لنعرف ماذا كان يتلقى المتنبي في هذه المدرسة التي اختلف إليها أيام صباه ، فالراجح بل المحقق أنه تعلم فيها القراءة والكتابة وقرأ فيها القرآن كله أو بعضه . وتلقى فيها أصول الدين وفروعه على مذهب الشيعة العلويين وسمع فيها الشعر وروي منه أطرافاً وتعلم فيها شيئاً من علوم اللغة والأدب بوجه عام .

وقد كان لهذه المدرسة تأثير ظاهر في عقل المتنبي وقلبه ، وبيننا به الديوان فقد حفظ الديوان للمتنبى مقطوعات من الشعر .

(١) كتاب مع المتنبي للدكتور طه حسين ص ٣٥

قالها الصبي وهو يختلف إلى المكتب وليس يعنينا بالدقة أن نؤرخ هذه المقطوعات ولكن الشيء الذي نستطيع أن نحققه هو أن ثلاث خصال تظهر لنا في هذا الشعر .

الخصلة الأولى :

أن الصبي مقلد في الفن الشعري يتأثر بما يحفظ في المدرسة أو ما كان يسمع فيها من شعر القدماء ومن شعر المعاصرين الذين سبقوه بوقت قصير . وهذا طبيعي فالأصل في الإبتداء الفني التقليد بحيث يقلد المبتدئ واحداً أو غير واحد من الذين سبقوه في الفن الذي يزاوله يلتمس نفسه كما يقول الفرنسيون في هذا التقليد ، حتى إذا وجدها استغل قوامها وعواطفها واستثمر كنوزها ودخائلها واستخرج منها شخصيته التي تنمو على مر الزمن وطول المران فليس غريباً أن يكون فن المتبني في صباه فناً تقليدياً ليست له قيمة خاصة .

الخصلة الثانية :

أن هذا الشعر شعر صبي متشبع للعلويين متأثر بأراء الشيعة وبأراء الغلاة منهم خاصة .

الخصلة الثالثة :

أن هذا الشعر شعر صبي لم يكن بعيداً كل البعد من أمور القرامطة وأخبارهم ، وعن كلفهم بسفك الدماء وشغفهم بالحروب والغارات وقد يجوز أن نضيف إلى هذه الخصال الثلاث خصلة رابعة وهي أن هذا الصبي كان طويل اللسان شبيهاً ما . مستعداً استعداداً حسناً للسخرية ثم الهجاء . وكل هذه الخصال تدلنا على أن الصبي قد كان ممتازاً حقاً فليس قليلاً على صبي لم يتجاوز العاشرة أن يقول شعراً يروي وأن يُمس بهذا الشعر الغزل والحماسة والمدح والهجاء وفلسفة الغالية من الشيعة^(١)

(١) كاتب مع المتبني للدكتور طه حسين ص ٣٦

الفصل الرابع

المبحث الثالث :

مقتل المتنبي

المطلب الأول :

” ما ذكره الدكتور طه حسين في كتابه مع المتنبي حول مقتل المتنبي ”

المطلب الثاني :

” ما ذكره الدكتور عبد الله الطيب في كتابه مع أبي الطيب
حول مقتل أبي الطيب ”

المطلب الثالث :

” ما ذكره علي الجارم في كتابه خاتمة المطاف حول مقتل المتنبي ”

الفصل الرابع

المبحث الثالث " مقتل المتنبي "

أ/ " ما ذكره الدكتور طه حسين حول مقتل المتنبي في كتابه مع المتنبي " يقول الدكتور طه حسين :

وقد انتهى المتنبي إلى واسط فيما يقول الرواة ، في شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وثلاثمائة بعد أن ألم بالأهواز ، فلما انتهى إلى واسط نزل إلى صديق له يعرف بأبي نصر محمد الجبلي ، وهذا الصديق هو الذي كتب إلى الخالدين بما عرف من جلية أمر المتنبي ، بعد أن فارقه وخرج من واسط قاصداً إلى بغداد وليس عندي ما يحملني على الشك في خبر أبي نصر الجبلي هذا ، فالصدق ظاهر فيه ، وهو ملائم كل الملاءمة لطبيعة الأشياء ، وخبر أبي نصر الجبلي هذا معروف فهو قد أنبأ الخالدين في كتابه بأن فاتكاً الأسدي ، خال ضبه القرمطي ، الذي هجاه المتنبي في وسط الكوفة قبل رحيله إلى ابن العميد ، قد نزل به قبل مقدم المتنبي على واسط بأيام ، وجعل يسأل عن المتنبي حتى أرتاب الجبلي بسؤاله ، ثم لم يشك في أنه يريد به السوء لينتقم لأبن أخته ويرد عنه وعن نفسه عار ذلك الهجاء القبيح ، وجعل الجبلي يرد فاتكاً عن هذا الشر الذي أضمره ، فلم يبلغ منه شيئاً ، فلما وصل المتنبي إلى واسط حذره الجبلي من فاتك هذا ، ونصح له أن يستصحب الأحراس ، فأبى مستكبراً أيضاً وخرج وليس معه إلا ابنه وغلمانه فلما كان في بعض طريقه إلى بغداد ، قريباً من دير العاقول ، تلقاه فاتك وأصحابه من الأعراب فكان بينهم شئ من قتال ، ثم كثره فاتك بأصحابه فقتلوه وقتلوا ابنه وغلمانه جميعاً وأخذوا ما كان معهم من متاع وكتب ومال .

أكان فاتك ثائراً لابن أخته ولعرضه فحسب ، أم كان ثائراً لعرضه
ولشيء آخر ؟ أما القدماء فلم يترددوا في قبول الأمر كما قبله أبو نصر الجبلي
، وكما قبله الخالديان ، فهم يرون ويرى معهم المحدثون ، أن المتنبى ذهب
ضحية للسانه ، وتلقى الموت ثمناً لهذه القصيدة الياثية التي هجا بها ضبه في
الكوفة على كره منه فيما يقولون .

وقد يكون هذا حقاً ، فهو ملائم للمألوف من عادات الأعراب ، ولكني
أحس من نفسي تردداً في قبوله ، وأراها تتبؤ عنه ولا تطمئن إليه ، وأرى خاطراً
يلح على ولا يكاد يفارقني منذ درست شعر المتنبى وحياته في شيء من التدقيق
والتفصيل ، وأنا أعرض عليك هذا الخاطر كما يعرض نفسه على ، فإن شئت
فأرفضه لأنني لا أجد بين النصوص ما يمكنني من ترجيحة فضلاً عن القطع به
، وهذا الخاطر يلغي في نفسي أن المتنبى لم يذهب ضحية لهذه القصيدة ، ولا
ضحية لجشع الأعراب فيما كان يسوق من مال ومتاع ، وإنما أدى بموته إلى
القرامطة من جهة وإلى الغرب من جهة أخرى ، ثمن هذه الخيانة التي اقترفها
من الكوفة وسجلها في نفسه في شيراز ، وعاد وفي نفسه أن يمضي فيها
ويباهي بها ، يملأ بها الأرض إذا انتهى إلى بغداد .

أما الذين قتلوه كانوا من القرامطة ، فشيء لا أستعيده (١) فقد كان الأعراب
منتشرين في بادية العراق لذلك الوقت ، متأثرين بدعوة القرامطة أشد التأثير ،
يظهرون ذلك إذا أمكنتهم الفرصة فيغيرون على المدن والسواد ، ويخفون ذلك
إذا ظهر بطش السلطان ، وما أدري إذا كان ضبه الكلابي داعية من دعاة
القرامطة في الكوفة فما الذي يمنع خاله الأسدي أن يكون متأثراً بهذه الدعوة
أيضاً ؟ ثم إلى شيراز . فقد كان معه جماعة من البغداديين ، منهم ابن جني

(١) لعل نصاً ، فيما نقله البغدادي في خزنة الدب من كتاب " إيضاح المشكل لشعر المتنبى " من تصانيف أب القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني " يقرب هذا
ويؤيده ، فهو فاتكاً لما أبي المتنبى ما عرض عليه من حذارته في الطريق جمع له سبعين من الأعراب الذين يشربون دماء الحجيج فقتلوه وقتلوا من معه ، وإنما الاعتداء
على الحجيج وفحش ، وهان على الأعراب أن يستبيحوا دماؤهم ويشربونها بعد أن أشقوا نائر البادية الراقية بدعوة القرامطة " أنظر خزنة الأدب - الجزء الأول صفحة
٢٨٩ . "

فأين ومتى تفرق عنه هؤلاء الناس ؟ أرحلوا معه من شيراز ثم تخلفوا في واسط ؟ أتأخروا في شيراز ؟ أسبقوه إلى بغداد ؟ لا ندري ، ولكننا نعلم أنهم حزنوا عليه أشد الحزن وقالوا فيه كثيراً من الرثاء ، وعنوه شهره ويذيعونه ويفسرونه ، ولم يشهدوا موته ، ولم يعرفوا من لحظاته الأخيرة أكثر مما كتب به أبو نصر الجبلي إلى الخالديين وكذلك أراد الله أن يعيش وحيداً ويموت وحيداً ذلك الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس .

المطلب الثاني :

ب/ " ما ذكره الدكتور عبد الله الطيب حول مقتل أبي الطيب في كتابه مع أبي الطيب "

يقول الدكتور عبد الله الطيب :

قال الثعالبي في اليتيمة : " لما أنجحت سفرة أبي الطيب وربحت تجارته بحضرة عضد الدولة ووصل إليه كثير من مائتي ألف درهم استأذنه في المسير منها ليقضي حوائج في نفسه ثم يعود إليها ، فأذن له وأمره بأن تخلع عليه الخاصة ، إلى أن قال " فلما فارق أعمال حسب أن السلامة تستمر معه كاستمرارها في مملكة عضد الدولة ولم يقبل ما أثير به عليه من الاحتياط باستصحاب الخفراء والمبرزقين فجرى ما هو مشهور من خروج سرية من الأعراب عليه ومحاربتهم أيامه وتكشف الواقعة عن قتله وابنه محسد ونفر من غلمانهم وفاز الأعراب بأموالهم وذلك في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة " .

ونقف عند قول الثعالبي " فجرى ما هو مشهور إلخ " ومع شهرته لا ندري عمن تلقاه راووه . فمنهم قائل إن فاتكا الذي عرض لأبي الطيب في جماعة من الأعراب وفعل ذلك غضباً ما يائتته التي هجا بها ضبه . قال العكبري : " وقال يهجو ضبه بن يزيد العيني وصرح بتسميته فيها لأنه كان لا يفهم التعريض ، كان جاهلاً ، وهذه القصيدة من أردأ شعر المتنبي ، وكان العكبري قد غفل أن من مذهب البداوة في الإفحاش بعض هذا وما يقاربه كالذي كان يقع عند الفرزدق وجريير مثلاً .

ومن قائل أن أبا الطيب فر وذكره غلامه قوله :
" الخيل والليل والبيداء تعرفني " فثبت وقتل أو قال للغلام قتلتني أو شيئاً من
هذا المعنى .

وإن صح البحث هذا الخبر فهو أشبه بما إعتاده أبو الطيب من
الاستعداد للخارجين والإفلات منهم ولعله نجا من هذا الذي ذكره أن اسمه فاتك
قد أصيب من بعد وكلهم مجتمعون أن قد قتل بدير العاقول وهو بسواد بغداد ،
ولا يعقل أن يكون اعترض الأعراب لأبي الطيب قريباً من بغداد . وأرجح من
ذلك أن يكون الأعراب قد لقوه بعيداً عنها (١) .

ولما أفلت بعد قتال ما ، أمن إلى النجاة وحسب أن السلامة تستمر به
من بعد على حد تعبير الثعالبي . ولكن الذين أغروا به الأعراب ليقتلوه يبدوا
أنهم أيضاً قد أكلوا به آخرين يراقبون مقدمه عند دير العاقول أو قل خارج
بغداد غير حد بعيد منها . فلما رأوه قادماً مطمئناً قد نجا رموه بسهم وانتهبوا
ماله .

ولا يستبعد أن سيف الدولة قد كان من وراء جميع ذلك التدبير فقد ذكروا
أنه كان يغضبه أن يطول سكوت المتنبى عن مدحه .
قال العكبري : في تقديم الميمية :
" واحر قلباه ممن قلبه شبم "

" وأنشدها في محفل من العرب وكان سيف الدولة إذا تأخر مدحه شق
عليه وأحضر من لا خير منه وتقدم إليه بالتعرض له في مجلسه بما لا يحب
وأكثر عليه مرة بعد مرة " كلام العكبري . فكيف إذا انصرف عنه بالكلية ومدح
سواه . وقد رأينا كيف حذره أبو الطيب وفر منه فراراً لا هواده فيه وذلك قوله :

فالله سيري ما أقلّ تيئه
عشية أشقى الناس بي من جفونه
عشية شرقي الحوالي وغرب
وأهدى الطريقتين التي أتجنب

(١) مع أب الطيب للدكتور عبد الله الطيب ص ٣١

ولا شك قياساً على الذي ذكروا من غضبه عليه حين تتأخر مدحه عنه ، وأن يكون رأى أنه قد خانته بالصيرورة إلى كافور فعضد الدولة .
وقد كان رفض أبي الطيب الاستجابة إلى دعوته آخر الأمر هو القاضية ، وما كان ليعسر من بعد على أعداء أبي الطيب بحلب أن يتصلوا بأعدائه في بغداد وتتم المؤامرة .
وقديما قد قال :

إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدَّرُوا أَلَا تَفَارِقُهُمُ فَالزَّاحِلُونَ هُمُ
لِئِنْ تُرَكِّنَ ضَمِيرًا عَنْ مَيَامِنَا لِيُحَدِّثَنَّ لِمَنْ وَدَعَتْهُمْ نَدْمُ
" أو لسيف الدولة الندم " كما روى بعضهم . فهل كان ذلك الندم قبل دير العاقول أو بعده - الله أعلم أي ذلك كان (١) .

(١) كتاب مع أبي الطيب للدكتور عبد الله الطيب ص ٣٧ .

ج/ ما ذكره علي الجارم :

حول مقتل المتنبى :

في أحد أرباط الكوفة ، وفي ليلة حالكة السواد شديدة البرد اجتمع عدد من الرجال يزيد على العشرة بدار مجاشع الكلابي ، وجلسوا حول النار يصطلون وكان بالحجرة سراج خافت النور ، كاد يجف زيتته فأخذ يخفق كأنه مريض دنف دهمه الفواق قبل أن يسلم الروح ، وكان جو الحجرة يوحي بالحزن والفجيعة والدمار ، ولو كشف عن البصر الحجاب لرأى فوق رعوس هؤلاء المقنعين حول النار أرواح الشياطين تحوم في مرح وتصفق بأجنحتها في جزل وشماته ، وكلما التمع السراج كشف من القوم وجوهاً عابسة مفترسة شريرة جرحتها السيوف وخرقتها السهام ، وأعيناً يتأجج فيها الغدر ، وتضطرم الأحقاد ، ورفع مجاشع الكلابي رأسه وقال :

لقد مر بنا حيناً من الدهر لم نجد فيه شيئاً ، ولم نركب جواداً حتى كدنا نفقد صفات البطولة ، وننام على الطوى ونبلل صغارنا بالماء فقال شمر بن وهب : كنا نسقط على مدينة الكوفة بين الحين ولكن أهلها أخذوا لأنفسهم الحيلة وأعدوا جيشاً مرابطاً ، واستعانوا ببعض جنود بغداد ، فلما أرسلنا عليهم غارة شنتوا شملها وأشمتوا في رجالها فقال مجاشع :

وكلما توالى هزائمنا تفرق عنا الطامعون في الغنائم حتى أصبحنا قلة ضئيلة خائفة العزائم . فأسرع فهد القيسي قائلاً :

وكانت قاصمة الظهر تلك الهزيمة التي رمانا بها ذلك المتنبى الشاعر الدعي والله لو ظفرت به لشربت دمه ، صدقت يا فهد ، ولن تقوتنا حياته ، ولو كانت في قمم سليمان ، أتدرون لما أمرنا ضبه بن يزيد بالاجتماع هنا الليلة ؟

قال شعر :

لا أدري ولكني علمت منذ أيام أن خاله فاتكاً يزور الكوفة في طريقه إلى
واسط (١) .

فاتك ؟ أنه رجل أي رجل . ولعله يهدينا إلى صيد فقد طمئنا إلى الدماء
وصفرت أيدينا من المال ، ثم سكت القوم هنيهة فسمعوا عن بعد عواء كلب
جائع مغرور احرق صوته سواد الليل حزيناً مؤلماً كأنه ترب الثواكل ، ولم تمر
إلا لحظات حتى سمع طرق خافت ، فقام مجاشع ففتح الباب وعاد معه فاتك
الأسدي وضبه ، فقام القوم لتحيتهما في شئ من الرهبة والمهابة وكان فاتك في
الثلاثين من عمره ، طويل القامة متين العضل متناسق التكوين شديد السمرة
عربي الملامح ، براق العينين في وميض يكاد يصرع من يراه ، كان كث اللحية
وقد وقف شعرها كأنه شوك قنفذ ، حيا فاتك الجماعة في ابتسامة كأنها تكشيرة
الأسد ثم قال في لهجة العاتب لقد جئت الليلة أيها الأخوان لأمر ذي بال أردت
أن أحدثكم فيه ، ولو أن واحداً منكم هزته الأريحية وثار في نفسه الغيرة
لقبيلته وقومه لأغواني عن تحشم الطريق واجتياح القفار ، كلكم أهل لضبة ،
وكلكم قبيلته وأنصاره وإذا مس عرض ضبة فقد مست أعراضكم جميعاً ، وإذا
طعن شرفه فقد أصابتكم الطعنة جميعاً ، ولقد تزامت إلى أخبار أغضبت
مضجعي ، وأنبتت الشوك في وسادي ، تناقل أبياتاً قدرة من شعر نجس لطح
به الشاعر الدعوي المنبوذ بالمتنبي بن أخت ضبة ويا للهول ويا للعار أنه لشعر
تتعفف البغي من أن تدنس فمها بكلمة منه ويأنف مجان الحانات من أن يلقوا
إليه سمعاً فقد ولغ هذا الكلب الفاجر في عرض أختي فلم يترك كلمات من
مستقذرات اللغة حتى وصمها بها ولم يدع سهماً مسموماً بالفحش والإفزاز حتى
صوبه إليها وعجيب أن يقال هذا الكلام الدنس فتتناقله الصبيان ، ويتندر به
المجان ، وتسير به الرواحل من بلد إلى بلد ، تملأ ريحه المنتنة جو الصحراء

(١) حنمة المطاف لعللي الجارم ص ١٢٠

ثم لا تتورون ولا تغضبون ولا تروون سيوفكم من دماء هذا القوي الأفاك . ثم لا تمحون هذا العار عن أنفسكم وعن قبيلتكم بضربة فيصل . لقد أصبحتم متندر القائل ، وسخرية العرب جميعاً ، ولقد جئت أيها الأخوان لأغسل العار عن نفسي وعنكم ، ولقد جئت لأجرد سيفاً وأصون شرفاً ، لقد جئت لأقطع لسان الأفعى وأهشم أنيابها . مرحي . مرحي بالضيعة العرب ، شرف أختي يمرغ في التراب في كل مجلس وفي كل سامر ، وأخوها فاتك الذي ترتجف لهوله الصحاري ، ويخلع اسمه كل كلب ، يجلس في عقر داره هائناً رضيعاً ، لا يأخذ لها بثأراً ولا يدفع عنها بيمين ؟ شرف أختي يداس بالنعال وأهلها ينظرون واجمعين ذاهلين ؟ فصاح مشاجع :

غداً نذهب إلى الكوفة ونذبحه ولو كان بين ذراعي أسد ، فأجابه فاتك حزيناً أنه ليس بالكوفة ، أنه رحل منذ شهر أو أكثر إلى بلاد فارس ، نذهب إلى فارس ونقتله ولو كان في حماية كسرى أنو شروان ، وهنا وقف شمر بن وهب وقال : الرأي عندي يا سيدي أن يرحل أحدنا إلى فارس وأن يبحث عنه حتى يصل إلى مكانه ، ثم يوجر فيه خنجره فقال فاتك : لقد قاربت الصواب فإنني أوافقك على أن يسافر رجل منا إلى فارس ليعرف مكانه ، ويراقبه عن كثب حتى إذا رحل عائداً إلى العراق أسرع إلينا بدير العاقول فأخبرنا بطريق مروره فسرنا نحوه ووثبنا عليه فمزقناه تمزيقاً ، فقال ضبة ولم لا نقتله بفارس ونستريح من مشقة السفر ومظنة فراره ؟ ذلك لأننا لا نريد أن نكتفي بسفك دمه ، وإنما نريد فوق ذلك أن ننهب كل ما يعود به من فارس من أموال ونفائس وذخائر وتحف أعلى من أن تقدر بثمن وأعز من أن يحوزها قصر ملك ، فصاح القوم جميعاً نعم الرأي فاتك ، أنه لرجل ملغن .

واتفق القوم على أن يرحل شمر بن وهب إلى فارس ، وأن يضم ضبة إلى جماعته نحو عشرين لهما من فتاك الأعراب وأن يسيروا جميعاً تحت لواء فاتك إلى دير العاقول لينتظروا فريستهم هناك ، وليتربصوا للقتل والغنائم وتفرق القوم على أن يلتقوا في موعد ضربوه . وخرج المتتبي من شيراز نحو العشرة من عبيده ومعه بغال موفره بكل شئ من الذهب والطيب والثياب والكتب نفائس الهدايا ، وسار الراكب في جوف باسم الصباح ورقيق النسيم وكان المتتبي على غير عادته منبسطة أسارير الوجه إلى ما يقرب من المرح وحتى أنه كان يمازح ابن حمزة ويصغى في أناة ورفق إلى حديث محسد ويداعب مغلماً ويدعوه بكافور الأمين ، وقد تكون هذه النشوة الطارئة لأنه استطاع أن يتخلص من الديلم من غير اصطدام أو عريضة على خلاف عادته في مفارقة كل أمير أو ملك ، وقد تكون لأنه أنقذ نفسه ولسانه من مدح غير العرب والإشادة بمجد غير مجد العرب ، فقد كان شئ من ذلك يؤلم نزعتة العربية ، ويكدر عليه صفو حياته ، وقد تكون لأنه عاد إلى وطنه بهذه الأحمال والأموال والكنوز التي لم يظفر بمثلها مهلهل بن ربيعة الشاعر ، وقد يكون لأنه قد طالت عليه الغربة وأشدت به الحنين يشعر اليوم بأنه عائد إلى أهله وزوجته التي لا يزال يحس خفقات قلبها في صدره ساعة توديعه وتتناثر دموعها فوق خديه . قد تكون هذه النشوة الطارئة لهذا جميعه أو لشيء منه أو لشيء لم نعرفه من نزعات هذه النفس الضخمة المليئة بالأسرار وحينما لمح ابن حمزة هذه البارفة العابرة التي قليلاً ما لمعت بهذا الغائم العبوس أراد أن يغتتمها فقال : (١)

- ما رأيك يا أبا الطيب في سيف الدولة ؟
- عربي قصير الباع طويل الأمل ، وعيبه إنه إذا منّ منّ
- ماذا ترى في كافور ؟
- غراب حوله رخم وبوم

(١) حاقمة المطاف لعلي الجارم ص ١٢٤

- كيف تصف المهلبي ؟
- هُرُّ رَأَى فِي مِرَاةٍ كَاذِبَةٌ أَنَّهُ أَسَدٌ
- ومعز الدولة ؟
- شَبِحَ لِلْجَهْلِ وَالْبَخْلِ وَالشَّرَاسَةِ
- **يَحْسَبُهُ الْجَاهِلُ مَا لَمْ يَعْلَمَا**
- **شَيْخًا عَلَى كُرْسِيِّهِ مُعَمَّمًا**
- ماذا تقول في ابن العميد ؟
- رجلاً ما زال يقري الشعراء بمدحه بالأدب والكتابة حتى اعتقد آخر الأمر أنه أديب كاتب
- وعضد الدولة ؟
- تاج من ذهب فوق رأس من خزف
- ما رأيك في عبد العزيز الجرجاني ؟
- أراد أن يفلسف الأدب فشوه الأدب وأضعف الفلسفة
- وماذا ترى في أبو علي الفارسي ؟
- أعجمي حاول يطوع اللغة إلى أصول وهمية وهي أبعد في الخيال من شعره
- كيف تراني ؟
- فيك ما يجعلك لسان نفسك ولكنك تأبى إلا أن تكون لسان غيرك فضحك ابن حمزة وابتسم المتنبى ولكن هذا الابتسام طار من وجهه بعد قليل وخلفته سحابة مظلمة من الحزن والكآبة فزفر وقال :

وَمَا الْمَوْتِ إِلَّا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ يَصُولُ بِلَا كَفٍ وَيَسْعَى بِلَا رِجْلِ
ثم أخذ يردد :

نَعْدُ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْمَعَالِي وَتَقْتُلْنَا الْمَنُونَ بِلَا قِتَالُ

وهنا قال ابن حمزة :

ما هذا القائم يا أبا الطيب ؟ وما لنا لذكر الموت والمنون ؟

- الموت يا ابن حمزة راحة الحزين وموئل اليأس ، كانت لي آمال ومطامح يا ابن حمزة فأين هي ؟ رأيت هذه الذرات التي تتراقص في أشعة الشمس والتي يسمونها بالهباء ؟ هذه هي آمالي . رأيت هذه الحفرة هناك إنها كانت بئراً وغطتها السواقي هذه هي آمالي . رأيت هذا النسيم الذي مددت إليه يدك لتقبض عليه فر من خلال أصابعك ؟ أنه يا ابن حمزة آمالي .

كانت لي مطامح فعبثت بها يد الأيام ، طوحت بها الطوائح . وكانت لي أحلام ناضرة باسمه فتيقظت بعد نهاية العمر فلم أجد نضرة ولم ألمح ابتساماً ، كنت أطمع إلى أن أكون رجل الدنيا فأبت علي الدنيا ، وكنت أطمع إلى أن أكون ملكاً فنبذتني الروش وخرت مني التيجان وكنت أقول :

سَأَطْلُبُ حَقِّي وَمَشَايِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا إِنْتَمَوْا مُرْدُ

فلم أجد مشامخ إذا وجدت الحق ولم أجد الحق إذا وجدت المشامخ وأن اليوم أعود إلى داري بالكوفة شيخاً هرمأً حطمته الأيام وتلتمته الحوادث .
- ما هذه الخواطر السود يا أبا الطيب ؟ لقد أعطتك الدنيا من الجاه والمال وبعد المنزلة فوق ما تمتد إليه أعناق الشعراء .

وبلغ الركب الأهواز بعد عشرين يوماً فحط الرحال يستريح وأسرع أبو الحسن السوسي عامل الأهواز فاستقبل المتنبّي وأضافه أياماً ثم استأنف الرحيل إلى واسط ، وفيها كتب عنه ابن حمزة بعض قصائده في عضد الدولة واعتذر عن التخلف عنه لمرض نزل به ، فسار الركب قاصداً إلى بغداد ثم الكوفة ومر المتنبّي ببلدة من " جبل " فنزل ضيفاً على أب نصرمحمد الجبلي فأحسن الرجل وفادته ، وأكرم مثواه.

أما عصابة فاتك فقد أحكمت إنفاذ مؤامرتها وولت عن الكوفة النحو الذي دبرته ، وريضت بدير العاقول تنتظر قدوم المتتبي ، فأسرع إلى القوم شمر بن وهب جاسوسهم بفارس وأخبرهم برحيل المتتبي وبأنه كان يراقب طريق سيره ، وبأنه رآه بالأمس وهو يحط رحاله بجبل . فتواثبوا إلى خيولهم وأخذوا يجوبون الطريق بين دير العاقول وجبل . وحينما عزم المتتبي على الرحيل جلس إليه أبو نصر وقال :

- على أي شيء أنت مجمع يا أبا الطيب
- لقد عزمت على الرحيل مساء اليوم وسأخذ الليل مركباً فإن السير فيه يخف علي .
- نعم الرأي يا أبا الطيب . وكلني أرى أن يكون معك جماعة من رجال هذه البلدة الذين يعرفون هذه المواضع المخيفة فقطب المتتبي وجهه وقال :
- لم تقول هذا يا أبا نصر؟
- إنما أردت أن تستأنس بهذه الجماعة في الطريق فصاح في غضب
- أما ونجاد السيف في نقي ، فما بي حاجة إلى مؤنس غيره فأجابه في مضمض
- الرأي لك يا أبا الطيب وإنما كنت لك نصيحاً
- إن تلويحك يا أبا نصر ينبئ بشيء ، فعرفني جلية الأمر ، فزفر الجبلي زفرة طويلة وقال :
- جلية الأمر يا سيدي أن فاتكاً الأسدي كان عندي منذ ثلاثة أيام وهو يتقد عليك غضباً لأنك هجوت ابن أخته ضبة ، وقد بدرت منه بوادر توجب عليك الاحترار والتيقظ ،

- ومعه ثلاثين من بني عمه يأكلون النار ويحطمون الحجر الأسود : فالرأي
يا سيدي أن تأخذ معك عشرين رجلاً يشيرون بين يديك إلى بغداد .
فانتفخت أوداج المتنبى من الغيظ وصاح لا والله لا أرضى أن يتحدث عني
الناس بأني سرت في خفارة أحد غير سيفي فأسرع أبو نصر يقول وقد نفذ
صبره .

- يا هذا إني سأوجه معك قوماً من قبلي يسيرون ويكونون في خفارك .
- لا والله لا فعلت شيئاً من هذا ، أمن عبيد العصا تخاف عليّ ؟ والله لو أن
محضرتي هذه ملقاة على شاطئ الفرات وبنو أسد كلهم معطشون بخمس
، وقد نظروا إلى الماء كبطون الحيات ما جسر لهم خف ولا ظلف أن يرده
. معاذ الله أن أشغل فكري بهم لحظة عين ، إنهم كلاب عاوية يا أبا نصر
ولن يمسوا شعرة مني .

- قل إن شاء الله يا أبا الطيب
- هي كلمة مقولة لا تدفع مقضياً ، ولا تستجلب آتياً . وركب المتنبى ومعه
عبيده وذخائره في ليلة حالكة وأخذ طريقه حتى حاذى النعمانية ، ثم أخذ
السير حتى قارب الصافية وبينما وبين بغداد سنة عشر فرسخاً ، وفي اليوم
الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة خرج عليه
في هذا المكان فاتك ورجاله ، فقاتلهم الشاعر قتال الأبطال حتى قتل جميع
من كانوا معه وبقي وحيداً يضرب بسيفه ذات اليمين وذات الشمال ، وقد
نال منه الضعف وأخذ منه الوهن ، فحمل عليه فاتك وطعنه في جنبه
الأيسر فأسقطه عن جواده فأرتمى على الأرض وأخذ يجود بأنفاس قصار
تراحمها خشرجة الموت ويردد

حياض خوف الردي للشاة والغنم

فلا دعيت ابن أم المجد والكرم (١)

ردي حياض الردي يا نفس وأتركي

إن لم أدرك على الأرماح سائل

(١) حاقمة المطاف لعلي الجارم ص ١٢٨

الفصل الخامس

” الموازنة بين الكتابين ”

المبحث الأول :

” اوجه الشبه أو ما اتفق فيه الكاتبان ”

المبحث الثاني :

” أوجه الاختلاف بين الكتابين ”

المبحث الثالث :

” المفاضلة بين الكتابين ” الخلاصة ”

الفصل الخامس

" الموازنة بين الكاتبين "

المبحث الأول :

" أوجه الشبه بين الكاتبين أو ما اتفقا فيه "

المنهج :

كل من الكاتبين تناول حياة المتنبي من خلال شعره ولم يكن لهم سرد تاريخي منثور ، أو قصص كما كتب ذلك على الجارم في كتابين صغيرين والشاعر الطموح وخاتمة المطاف في متابعة حياة المتنبي فكل من الكاتبين قد اتخذ من الشعر منهجاً لاستعراض حياة المتنبي ومصاحبته أو معيته منذ ميلاده حتى مقتله .

فيقول الدكتور طه حسين في كتابه مع المتنبي :

حيث يبدأ بنسب المتنبي أهو عربي أم لا فيقول " لكن الشيء الذي ليس فيه شك هو أن ديوانه لا يثبت ولا يؤكد بل لا يسجله ويذكره ولعله ينفية نفياً هو إلى الصراحة أدنى منه إلى الإشارة والتلميح .

حتى قيل أيعرف المتنبي أباه ؟ فقال بعضهم نعم ولم يقل المتنبي شيئاً فانت تقرأ ديوانه من أوله إلى آخره وتقرؤه مستأنساً متمهلاً فلا تجد فيه ذكراً لهذا الرجل الطيب الذي أنجب للقرن الرابع شاعره العظيم لم يمدحه ولم يفخر به أحداً ولم يرثيه المتنبي " فأنا أقبل من المتنبي في إعجاب لا أحد له هذه الأبيات التي من أروع ما قاله من الشعر :

أنا ابنٌ من بعضه يُفوقُ أبا البَ احثُ والنَّجْلُ بعضُهُ من نَجَلِهِ
وإنّما يذكُرُ الحدودَ لهم من نَفَرُوهُ وأنفَرُوا حِيلَهُ
فخرًا لعُضبِ أرواحٍ مشتملةً وسمهري أرواحٍ معتقلةً
فأليْفخرَ الفخر إذا غدوت به مرتدياً خيره ومنتعله

أما عن أمه فلم يعرفوا من أمرها شيئاً فنحن لا نعرف اسمها ولا نعرف أباهها ولا نعرف أكانت عربية من قبل أبيها أم أعجمية . فيستشهد بالبيت :

وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدٍ لَكَانَ أَبَاكَ الضَّخْمُ كَوْنِكَ لِي أُمًّا

فلذلك نجد المرجع الأساسي لاستعراض حياة المنتبي عند الدكتور طه حسين هو ديوانه حتى نسبه وطفولته .

أما الدكتور عبد الله الطيب في كتابه مع أبي الطيب فاول باب في كتابه بعد مقدمته يقول فيه في شعره أبي الطيب شواهد تدل على أنه همّ باغتياله أو أخذ عليه الطريق أو أريدت إليه الغوائل وما بمجرداها غير مرة كقوله^(١):

" يحمي ابن كيلغغ البيت "

فقد ذكروا أنه اعتل عن المدح في ابن كيلغغ لمسألة المديح وذلك قول أبي الطيب (أرسلت تسألني المديح سفاهة) يحلف ألا يمدح أحداً إلى مدة عينها فأخذ هذا عليه الطريق حتى تنتهي تلك المدة فاحتار أبو الطيب وهرب من وجهه .

وكقوله يذكر أسد الفرائيس :

أَجَارَكَ يَا أَسَدَ الْفَرَادِيسِ مَكْرَمٍ فَيَسْكُنَ قَلْبِي أُمُّ مُهَانَ فَمَسْلَمٌ
ورائي وقدامي عداة كثيرة أحاذر من لص ومنك ومنهم
مَنْهَلٌ لَكَ فِي حَلْفِي عَلَى مَا أُرِيدُهُ فَإِنِّي بِأَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ أَعْلَمُ
إِذَا لِأَتَاكَ الْخَيْرُ مِنْ كُلِّ وَجْهِهِ وَأَثْرَيْتَ مِمَّا تَغْنَمِينَ وَأَغْنَمُ

ولا يخفي ما في هذه الأبيات من الشعور العميق بالوحشية مع الطموح المفرط وكقوله :

أَتَانِي وَعَيْدُ الْأَدْعِيَاءِ وَنَعْمُ أَعْدَاؤِ إِلَى الْوَدَانَ فِي كَفْرِ عَاقِبِ
وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لِحَدْرَتِهِمْ فَهَلْ فِي وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ

(١) كتابه مع المنتبي للدكتور طه حسين ص ١٢ -

وأحسبه مع هذا قد حذرتهم إذ قد كان مجبوراً على ذلك كقوله :

وَمُنْتَسِبٌ عِنْدِي إِلَى مَنْ أَحْبَبَهُ
فَهَيِّجْ مِنْ شَوْقٍ وَمَا مِنْ مَذَلَةٍ
وَكُلُّ وَدَادٍ لَا يَرُومُ عَلَى الْأَذَى
فَإِنْ يَكُنْ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا
وَنَفْسِي لَهُ نَفْسِي الْعِدَا لِنَفْسِهِ
فَإِنْ كَانَ يَبْغِي قَتْلَهَا بِكَ قَاتِلًا
وَلَلنَّبْلِ حَوْلِي مَنْ يَدِيهِ حَفِيفٌ
حَنَنْتُ وَلَكِنْ الْكَرِيمُ أَلُوفٌ
دَوَامٌ وَدَادِي لِلْحَنِينِ ضَعِيفٌ
فَأَفْعَالَهُ اللَّائِي سَرَنَ أَلُوفٌ
وَلَكِنْ بَعْضُ الْمَالِكِينَ عَنِيفٌ
يَكْفِيهِ فَالْقَتْلُ الشَّرِيفُ شَرِيفٌ

وقيل أن أبا العشائر غضب عليه لأمر فأرسل إليه غلماناً ليقتلوه بظاهر حلب فيواصل الدكتور عبد الله الطيب بهذا الأسلوب الذي يعكس فيه جزءاً كبيراً من حياة أبي الطيب من خلال شعره إلى آخر كتابه حول معية أبي الطيب .

المطلب الثاني

" المدح "

كل من الكاتبين ذكر المدح في شعر المتنبي وهذه من الأشياء التي اتفقا فيها :

□ المدح عند الدكتور طه حسين في كتابه مع المتنبي

يقول الدكتور طه حسين قد وصحب المتنبي سيف الدولة تسع سنين أو ما يقرب من التسع سنين ، مدحه جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين بالميمية التي أولها :

وَفَأَوْكُمَا كَرِيحَ أَشْجَاهِ طَاسِمِهِ بَأْنَ تَسْعَدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهِ سَاجِمِهِ
وَمَا أَنَا إِلَّا عَاشِقِي كُلِّ عَاشِقٍ أَعَقُّ خَلِيلِيهِ الصَّفِيَّيْنَ لِائِمِّهِ
وَقَدْ يَنْزِيًا بِالْهَوَى غَيْرَ أَهْلِهِ وَيَسْتَنْصَحُبُ الْإِنْسَانَ مَنْ لَا يُلَائِمُهُ
بَلِيَّتْ بَلَى الْأَطْلَالَ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وَوَقُوفَ شَحِيحِ ضَاعِ فِي التَّرْبِ خَاتِمُهُ
حتى يقول :

حَبِيبُ كَأَنَّ الْحُسْنَ كَانَ يُحِبُّهُ فَآثَرُهُ أَوْ جَارٍ فِي الْحَسَنِ قَاسِمُهُ
تَحُولُ رِمَاحَ الْحَظِّ دُونَ سِبَائِهِ وَتُسَبِّى لَهُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ كَرَائِمُهُ
وَيُضْحِي غُبَارَ الْخَيْلِ أَدْنَى سُنُورِهِ وَآخَرَهَا نَثْرَ الْكِبَاءِ الْمُلَازِمُهُ

وفي سنة ثلاث وأربعون وثلاثمائة أحدث بنو كلاب حدثاً وارتحلوا فلحقهم سيف الدولة وردهم إلى الطاعة ثم شملهم بعفوه فقال المتنبي في ذلك بانيته التي أولها :

يَعِزُّ عَلَيْنَا رَاعِيَا عَيْنِ الدَّنَابِ وَغَيْرِكَ صَارِمَا سَلَّمَ الضَّرَابِ
وفي سنة أربع وأربعون وثلاثمائة في اغلب الظن تجمعت قبائل من قيس وثارت على ملك سيف الدولة ، فنهض لها الأمير ، وتتبعها حتى لحقها عند تدمر ، فيصنع بها صنيعه بكلاب ، ولم يشهد المتنبي هذه الواقعة ولكن قال فيها قصيدتين أولها القافية التي أولها :

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعَرِيبِ وَبَارِقِ مَجْرٍ عَوَالِينَا وَمَجْرِي السَّوَابِقِ

وكذلك الرائية التي أولها :

طُوالَ قَنَا تُطَاعِنَهَا قَصارُ وَقَطْرَنَ فِي نَدَى وَوَعَى بحارُ

وفي غزو سيف الدولة للروم وانتصاره عليهم سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة
مدح سيف الدولة بالجيمية التي أولها :

لَهَذَا اليَوْمِ بَعْدَ غَيْرِ أريج وَنارِ فِي العُودِ لها أجيحُ

والأخرى العينية التي قالها بعد الهزيمة يسلي بها الأمير وينذر بها الروم
وأولها :

غَيْرِي بِأَكثَرَ هَذَا النَّاسِ يَنخدَعُ وَإِنْ قَاتَلُوا جَبَنُوا أَوْ حَدَثُوا شجعوا

وفي سنة أربعين وثلاثمائة نهض سيف الدولة للقاء الروم وكانت نيته ان
يغسل عن المسلمين وعن نفسه وضر الهزيمة التي أصابتهم في العام الماضي
فتقدم الأمير إلى الشاعر أن يثبت قلوبهم ويحرضهم على القتال فقال نونيته
التي أولها :

نُزُورُ دِيَارِنَا مَا نَحِبُ لها مَعْنَى وَنَسْأَلُ فِيها غَيْرَ سَكَّانِها الأذْنَا

فلما عاد بجيشه مظفراً هذه المرة ولم يستطع الروم أن يضايقوه ولا يأخذ
عليه الطريق ، فقال المتنبي في ذلك داليتة التي أولها :

عوازل ذات الخال في حواسد وإن ضجيج الخود مني لَمَاجدُ

فقد استرسل الدكتور طه حسين في مدح المتنبي لسيف الدولة وفصل
ذلك تفصيلاً دقيقاً ومحللاً تحليلاً وافياً فتناول كل بيت منفرداً وشرحه شرحاً
واسعاً أما في مدح المتنبي لكافور فقد تطرق لذلك أيضاً الدكتور طه حسين في
كتابه مع المتنبي قائلاً :

" وقد مدح المتنبي كافوراً بثمانى قصائد أنشده إياها أولاه في جمادى الثانية
سنة ست وأربعين وثلاثمائة وهي الياضية التي مطلعها :

كَفَى بِكَ داءً أَنْ تَرى المَوْتِ شَافِياً وَحَسْبُ المَنايا أَنْ يَكُنَّ أمانِياً

وفي السنة نفسها بنى كافور داراً وطلب إلى المتنبي أن يذكرها فأنشده همزيتة
التي أولها :

إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلْأَكْفَاءِ وَلِمَنْ يُدْنِي مِنَ الْبَعْدَاءِ

وفي هذه السنة أنشده بأئيته التي أولها :

مَنْ الْجَانِزُ فِي زِي الْأَعَارِبِ حَمْرُ الْجَلِيِّ وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِبِ

وفي آخر هذه السنة أنشده داليتها التي أولها

أودُ من الأيام ما لا تودّه وأشكو إليها بيننا وهي جنده

فيقول الدكتور طه حسين " فهو إذن كان مكثراً في مدح كافوراً لأول عهده به يريد أن يظفر بحبه أو بالمكانة عنده ، كما كان مكثراً في مدح سيف الدولة ، حين اتصل به سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة . ولكن سيف الدولة أرضى حبه للمال ، وأرضى إعجابه بجلائل الأعمال فمضى على الإكثار في مدحه ، ولم يبلغ كافوراً من ذلك ما كان يبلغه سيف الدولة ففترت همة الشاعر بعض الفتور ، فلما كانت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة انتقل كافور من دار إلى دار فأنشده تلك الأبيات التي أولها :

أحُقُّ دَارُ بَأَنْ تَدْعَى مَبَارِكَةً دَارُ مَبَارِكَةُ الْمَلِكِ الَّذِي فِيهَا

وفي السنة نفسها أهدى إليه كافور فرساً فشكر له هديته بالميمية التي يقول أولها :

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتَ غَيْرَ مَذْمَمٍ وَأُمٌّ وَمَنْ يَمْتُ خَيْرَ مَيِّمٍ

في شوال من هذه السنة مدحه بالبائية التي أولها :

أَغَابَ فِيكَ الشُّوقُ وَالشُّوقُ أَغْلَبُ وَأَعْجَبَ مِنْ ذَا الْهَجْرِ وَالْوَصْلِ أَعْجَبُ^(١)

اما الدكتور عبد الله الطيب فقد تعرض للمدح في كتابه " مع أبي الطيب " أيضاً ذكر محاسن أبي الطيب فيقول :

" مخاطبة الممدوح من الملوك بمثل مخاطبة المحبوب والصديق مع الإحسان والإبداع هو مذهب تفرد به واستكثر من سلوكه اقتدار منه وتبحر في الألفاظ والمعاني ورفعاً لنفسه عن درجة الشعراء وتدرجاً لها إلى مماثلة الملوك " .

(١) كتاب مع المتنبي ص ١٦٩ - ٢٢٥

وذلك بعد استشهاده بثمانية عشر بيتاً من الميمية ، يعلق عليها في جملتها :
وهي على براعتها واستقلال أكثر أبياتها بنفسها تكاد تدخل في باب إساءة
الأدب بالأدب هذا في قول أبي الطيب :

وأَتعب من ناداك من لا تحبه وأَغِيظ من عاداك من لا تشاكر
ثم يقول يخاطب سيف الدولة :

وأَكبر تيهي أنني بك واثقُ وأَكبر مالي أنني لك آملُ

لعل لسيف الدولة الغرم هبةً يعيش بها حق ويهلك باطلُ

فذكر الدكتور عبد الله الطيب للمدح لم يتطرق لمدح أبي الطيب لسيف
الدولة إلا تعريضا فركز على الميمية .

أما مدحه في كافور الإخشيدي يقول الدكتور عبد الله الطيب " ولما صار
رحمه الله إلى الأمير الفطن لم يكن ينشده إلا واقفا وقيل اشترط عليه ذلك والله
أعلم " والوقوف من سمة الخطيب وفي فطنه كافور يقول أبو الطيب وهو
صادق :

أقل سلامي حب ما خفى عنكم وأسكت كيما لا يكون جوابُ
وفي النفس حاجات وفيك فطانةُ سكوتي بيان عندها وخطابُ
وقال أبو الطيب :

وما أنا إلا عاشقُ كل عاشقٍ أعقّ خليليه الصفيين لائمهُ
سقاك وحيانا بك الله إنما على العيس نور والحدود كئامةُ
وما حاجة الإظعان حولك في السرى إلى قمر لك عادمهُ
حبيب كأن الحسن كان يحبهُ فأثره أو جار في الحسن قاسمهُ
تحول رماح الخط دون سبائه وتسبى له من كل حي كرائمهُ

ويضحى غبار الخيل أدنى ستوره وآخرها نشر الكباء الملازمةُ

وكذلك في مدح كافور يقول أبو الطيب :

فوافت بنا إنسانُ عينُ زمانه وخلت بياضاً خلفها ومآقيا

قوله :

يدبر الأمر من مصر إلى عدن
وإذا أتها الرياح النكب من بلد
إلى العراق فأرض الروم فالنواب
فما تهب بها إلا بترتيب

وقوله :

ويغنيك عما ينسب الناس أنه
ويقول الدكتور عبد الله الطيب :

والعقدة النسبية كانت عند المتبني لبدأوته لا عند كافر ولا شيء أكثر إسماعياً
من قول أبي الطيب :

إذا ثارت الأحجاج فوق نباته
تفأوح مسك الغانيات ورنده
كقوله :

كل إمري يولى الجميل محبة
أبا المسك هل في الكأس فضل أناله
وكل مكان ينبت العز طيب
فإني أغني منذ حين وتشرب
وكذلك يقول الدكتور عبد الله الطيب :

ومما يدل على إخلاص أبي الطيب مديح كافر ضعف اللامية التي مدح بها
فاتكاً

" لا خيل عندك تهديها ولا مال "

إذ ليس فيها نفس أبي الطيب وروحه الذي نعلم وإنما هي صوغ منهم
وكان أبا الطيب رأى قبيحاً به ألا يجزى فاتكا على إحسانه إليه فاستأذن في
ذلك كافورا كما ذكر فأذن له .

فربما جرت الإحساب مؤليه
خريده من عذاري الحي مكسال

المطلب الثالث

الهجاء

كل من الكاتيبين قد أورد شيئاً عن الهجاء في شعر المتنبي في كافور .
فعلى سبيل المثال يذكر الدكتور طه حسين هجاء المتنبي لكافور في كتابه مع
المتنبي .

فيقول :

قال المتنبي في هجاء كافور :

أريك الرضاء لو أخفت النفس خافية وما أنا عن نفسي ولا عنك راضياً
أميناً وإخلاقاً وغدراً وخسة وجبناً أشصاً لحت لي أم مَخازياً
تظن ابتساماتي رجاء وغبطة وما أنا إلا ضاحك من رجائياً
ثم يقول أيضاً :

وتعجبني رجلاك في النعل أني رأيتك ذا نعل إذا كنت حافياً
وإنك لا تدري ألونك أسود من الجهل ام قد صار أبيض صافياً
ثم يقول :

فإن كنت لا خيراً أفدت فإنني أفدت بلحظي مشفريك المَلاهيا
ومثلك يوتي من بلاد بعيدة ليضحك ربات الحجال البواكيا
وفي الميمية يقول :

لَا شَيْءَ أَقْبَحَ مِنْ فَحَلٍ لَهُ ذَكَرُ تقوده أمة ليس لها رحمُ
سادات كل أناس من نفوسهم وسادات المسلمين الأعبد القزمُ
أغاية الدين أن تحفوا شواربكم يا أمة ضحكت من جهلها الأممُ
ثم يقول كذلك :

أَكْلَمًا إِغْتَالَ عَبْدُ السَّوِّءِ سَيِّدُهُ أو خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ
صار الخصي إمام الأبقين بها فالحر مستعبد والعبد معبودُ

نامت نواطير مصر عن ثعالبها
وأيضاً يقول المتنبي :

فقد بضمن وما تفنى العناقيدُ

ما كنت أحسبني أحيا إلى زمن
ولا توهمت أن الناس فقدوا
وأن ذا الأسود المثقوب مشفره

يسئ بي فيه كلب وهو محمودُ
وان مثل أبي البيضاء موجودُ
تطيعه ذي العطاريد الرعايدُ

جوعان يأكل من زادي ويمسكني لكي يقال عظيم القدر مقصودُ

أما الدكتور عبد الله الطيب يذكر هجاء أبي الطيب لكافور كذلك حيث^(١)
يقول الدكتور عبد الله الطيب :

حكى عن المتنبي انه قال " كنت دخلت على كافور انشده يضحك إلىّ ويثني
في وجهي إلى أن أنشدته :

ولما صار ود الناس خباً جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه لعلمي انه بعض النام

قال فما ضحك بعدها في وجهي إلى إن تفرقنا فعجبت من ذكائه وفطنته والتفت
ينظر بعين الغيظ إلى ابن خنزابه وإضرابه من طبقة البلاد الحاكمة آنئذ :

أغاية الدين أن تحفوا شواربكم يا أمة ضحكت من جهلها الأممُ

وإلى حضرة كافور وهو في الثياب البيضاء وأسود شديد بصاص .

كأن الأسود اللابى فيهم غراب حوله رخمٌ ويومٌ

فيقول الدكتور عبد الله الطيب : وهل كافور مثقوب المشفر كبعض ما تصنع
القبائل في أعالي النيل .

وأنّ ذا الأسود المثقوب مشفرة تطيعه ذي العطاريد والرعايد

لعله كان مثقوب الأذن منهدل المشفر فجمع أبو الطيب بينهما وذلك قوله :

أم أذنه في النحاس دامية أم قدره وهو بالفلسين مردودُ

^(١) . كتاب مع أبي الطيب ص ١٣٦ - ١٤٢ .

وحقق ابن خلكان الإخشد اشتراه بثمانية عشر ديناراً . وما ذلك بثمن زهيد وعاد أبو الطيب إلى ما كان أحسن ما علم فقال . فمسخه ليكون أسوأ ما يعلم فيقول :

العبد ليس لحر صالح بأخ لو أنه في ثياب الحر مولودُ
لا تشتتر العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيدُ

وكرر ما قاله الدكتور طه حسين بذكره قول المتنبي :

وتعجبني رجلاك في النعل إنني رأيتك ذا نعل وإن كنت حافياً
فإن كنت لا خيراً أفدت بلحظي مشفريك الملاهيا
ومثلك يوتني من بلاد بعيدة ليضحك ربّات الحجال البواكيا
تظن ابتساماتي رجاء وغبطة وما أنا إلا ضاحك من رجائيا

وأمر ما وقع في هجائه لكافور .

فيجد أن حاله في الحضيض :

أنوك (١) من عبد ومن عرسه من حكم العبد على نفسه
العبد لا تفضل أخلاقه عن فرجه المُنْتَن أو ضرسه
لا ينجز الميعاد في يومه ولا يعي ما قال في أمسه
فلا ترج الخير عند امرئ مرت يد النحاس في رأسه
وإن عراك الشك في نفسه بحاله فانظر إلى جنسه

أي إلى العبيد أو كما قال :

إن العبيد لأنجاس مناكيد

والمراد هاهنا هجاء جنس الرق والأرقاء لا جنس السواد ، ومصدر الهجاء خيبة أمل الشاعر لا اعتقاده .

وكرر أيضاً ما ذكره الدكتور طه حسين :

أكلما اغتال عبد السوء سيده أو خانه فله في مصر تمهيد

(١) أي أشد حقاً من سلط العبد على نفسه .

فألحُرُّ مستعبِدٌ والعبدُ معبود

صَارَ الخَصِيَّ إِمَامِ الأَبْقِيْنَ بِهَا

كما يكرر بقوله هل طمعت نفسه إلى أن يكون إمام الأبقين .

وَسَادَةُ المُسْلِمِينَ الأَعْبُدُ القَرْمُ

سَادَاتُ كُلِّ أَنَاسٍ مِنْ نَفُوسِهِمْ

كان المسلمين هم " الشعب " لا كافور وبلاطه ، يا قوم من ادعى النبوة

على محمد صلي الله عليه وسلم ألا يدعي المملكة على كافور .

وهذه من روح الثورة التي ثار بسماوة كلب .

حَتَّى أَدَلَّتْ مِنْهُ دَوْلَةُ الخَدْمِ

بِكُلِّ مُنْصَلَّتٍ مَا زَالَ مُنْتَظَرِي

المطلب الرابع :

" حول مقتل المتنبى :

من الأشياء التي اتفق فيها الكاتبان أن كلاهما قد ذكر مقتل المتنبى في كتابه . فيقول الدكتور طه حسين في كتابه مع المتنبى مثلاً :

قد انتهى المتنبى إلى واسط فيما يقول الرواة في شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وثلاثمائة حين انتهى إلى صديق له يعرف بأبي نصر محمد الجبلي الذي أنبأ الخالدين بأن فاتكاً الأسدي خال ضبة القرمطي الذي هجاه المتنبى في الكوفة قد نزل قبل مقدم المتنبى على واسط وجعل يسأل عن المتنبى حتى أرتاب الجبلي بسؤاله ثم لم يشك حتى أنه يريد به السوء لينتقم لأبن أخته ، فلما وصل المتنبى إلى واسط حذره الجبلي من فاتك ونصح له أن يستصحب الأحرار فأبى المتنبى متكبراً وخرج فلم يكن معه إلا ابنه وغلمانه فلما كان في بعض طريقه إلى بغداد قريباً من دير العاقول تلقاه فاتك وأصحابه من الأعراب فكان بينهم شئ من القتال ثم كثره فاتك بأصحابه فقتلوه وقتلوا ابنه وغلمانه جميعاً وأخذوا ما كان معهم من متاع وكتب ومال .

فيرى القدماء أن فاتكاً ثائر لأبن أخته ولعرضه أما المحدثون فيرون أن المتنبى ذهب ضحية للسانه وتلقى الموت ثمناً لهذه القصيدة الياثية التي هجا فيها ضبة بالكوفة على كره منه فيما يقولون .

وأيضاً الدكتور طه حسين يقول : وأرى خاطراً يلح على ولا يكاد يفارقني منذ أن درست شعر المتنبى وحياته في شئ من التدقيق والتفصيل . وهذا الخاطر يلقي في نفسي أن المتنبى لم يذهب ضحية لهذه القصيدة ولا ضحية (١) لجشع الأعراب فيما كان يسوغ من مال ومتاع وإنما أدى بموته إلى القرامطة من جهة وإلى العرب من جهة أخرى ثم هذه الخيانة التي افترفتها في الكوفة

(١) مع المتنبى للدكتور طه حسين / راجع الرسالة الفصل الرابع ص ٣٧٦

فسجلها في نفسه في شيراز وعاد وفي نفسه أن يمعن فيها ويباهي بها ويملاً بها الأرض إذا انتهى إلى بغداد .

أما الدكتور عبد الله فقد ذكر في كتابه مع أبي الطيب :

قال الثعالبي في اليتيمة " لما فارق أبي الطيب أعمال فارس حسب أن السلامة تستمر به كاستمرارها في مملكة عضد الدولة ولم يقبل ما أشير به عليه من الاحتياط باستصحاب الخفراء والمبزرقين وجرى ما هو مشهور من خروج سرية من الأعراب عليه ومحاربتهم أياه وتكشف الواقعة عن قتله وابنه محسد ونفر من غلمانه وفاز الأعراب بأمواله وذلك في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة " ومنهم من قال إن فاتكاً الذي عرض لأبي الطيب في جماعة من الأعراب فعل ذلك غضباً من يائئته التي هجاء بها ضبة حين قال العكبري " وقال يهجو ضبة بن يزيد العيني وصرح بتسميته فيها لأنه كان لا يفهم التعريض ، كان جاهلاً ، وهذه القصيدة من أردأ شعر المتنبي .

وكلهم مجمعون أنه قتل بدير العاقول وهو بسواد بغداد ويقول " ولا يستبعد سيف الدولة قد كان من وراء جميع هذا التدبير فقد ذكروا أنه كان يغضبه أن يطول سكوت المتنبي عن مدحه وقد كان رفض أبي الطيب الاستجابة لدعوته آخر الأمر هو القاضية وما كان ليعثر من بعد على أعداء أبي الطيب بحلب أن يتصلوا بأعدائه في بغداد وتتم المؤامرة .^(٢)

ويقول الدكتور طه حسين " أما الذين كانوا من القرامطة فشيء لا استبعده " لعل نصاً ، فيما نقله البغدادي في خزنة الأدب من كتاب " ايضاح المشكل لشعر المتنبي من تصانيف أبي القاسم عبد بن عبد الرحمن الأصفهاني " يقرب هذا ويؤيده ، فهو يحدثنا بأن فاتكاً لما أبى المتنبي ما عرض عليه من خفارته في الطريق جمع له سبعين من الأعراب الذين يشربون دماء الحجيج فقتلوه وقتلوا من معه ، وأما كثر الاعتداء على الحجيج وفحش وهان على الأعراب أن يستحلوا دماءه ويشربوها ، بعد أن أشدت تأثر لبادية العراقية بدعوة القرامطة^(٣)

^(٢) مع أبي الطيب للدكتور عبد الله الطيب ص ٣٧ .

^(٣) انظر خزنة الأدب الجزء الأول ص ٢٨٩

المبحث الثاني :

" أوجه الاختلاف بين الكتابين "

المطلب الأول :

المدخل / أو المقدمة :

اختلف كل من الكاتبين في مدخلهما لمعية المتنبي أو أبي الطيب من خلال كتابيهما مع المتنبي ومع أبي الطيب . فالدكتور طه حسين في كتابه مع المتنبي يدخل بمدخل يقول فيه مثلاً : " لا أريد أن أدرس المتنبي فأنا لم أترك القاهرة ولم أعبر إلى البحر ولم أوي إلى هذه القرية للبحث والدرس . فقد فررت بنفسي من الدرس والبحث والتحصيل ، ولقد صحبت المتنبي طوال العام الجامعي أدرس شعره مع الطلاب وأتحدث عنه إلى جمهور الناس حتى سئمت درسه والتحدث عنه فأنا أكره لنفسي أن أمضي في درس المتنبي بعد أنفقت فيه ما أنفقت من الليالي والأيام "

ولما أراد صاحبي أن يحمل ما في مكتبي من البحوث التي تناول بها القدماء والمحدثون حياة أبي الطيب وشعره أبيت عليه هذا كله ، وتقدمت إليه في أن يكتفي بأيسر طبعه من طبقات المتنبي لأنني لا أريد درساً ولا بحثاً وإنما أريد صحبة ومرافقة ليس غير .

وليس المتنبي مع هذا من أحب الشعراء إليّ وآثرهم عندي ولو أنني أطلعت نفسي وجاريت هواي لاستصحبت شاعراً إسلامياً قديماً عسيراً كالفرزدق أو ذي الرمة أو الطرماح أو عباسياً من هؤلاء الذين أحبهم لأنني أجد عندهم لذة القلب والعقل ، ولكنني لم أطع نفسي وإنما عصيتها ولم أجار هواي وإنما خالفته أشد الخلاف .

وأكبر الظن أنني فعلت ذلك لأن المتتبي كان وما زال حديث الناس المتصل منذ أكثر من عامين لأنني حاولت وما زلت أحاول أن أستكشف السر في حب المحدثين له وإسرافهم في الحب والإقبال عليه كما أسرف القدماء في العناية به حباً وبغضاً .

ولم أجد بأساً في أن أثقل على نفسي بالتحدث إلى المتتبي والتحدث عنه والاستماع له ، وأنظر فيه والناس يعرفون أنني شديد العناد للناس فليعرفوا أيضاً أنني شديد العناد لنفسي كذلك ، ولا أريد أن أدرس المتتبي إذن ، الذين يقرءون هذه الفصول لا ينبغي أن يقرءوها على أنها علم ، أو على أنها نقد ، ولا ينبغي أن ينتظروا منها ما ينتظرون من كتب العلم والنقد وإنما هي خواطر مرسله تنيرها نفسي في قرية من قرى الألب في فرنسا ، قراءة المتتبي في غير نظام ولا مواظبة وعلى غير نسق منسجم إنما هي قراءة متقطعة متفرقة أقصد إليها أحياناً لأنني أريدها وأقصد إليها أحياناً أخرى لأن نفسي تعاندني إلى كتاب الأدب الفرنسي فأعاندها وأمانعها وأكرهها على أن تسمع للمتتبي أو تتحدث إليه (١) .

أما الدكتور عبد الله الطيب في كتابه مع أبي الطيب فقد دخل مدخلاً يدخل فيه أبا الطيب ضمن أكثر شعراء العرب شهرة ودوراناً فيقول : " فرما يصح أن يقال أكثر أسماء شعراء العرب دوراناً بينهم أمرئ القيس وزهير وأبو الطيب وعسى أن يكون معهم جرير . وقد اشتهر أمرؤ القيس وجرير لعذوبة اللفظ صفائه وحرارة النسيب وإيداع الصور ثم في شعرهما الحكمة والإنسانية وقد اشتهر المتتبي وزهير للحكمة والإنسانية وقوة الأداء ثم عندهما من النسيب الصادق والصور المبدعات .

(١) مع المتتبي للدكتور طه حسين ص ٩

ثم يقول " إن العصر الحاضر ربما خص بقدر كبير زهير وأبو الطيب لأنهما من شعراء المديح وخاصة المتنبى لتكسبه بذلك تكسباً واختلافه بين الممدوحين وجوبه الأرض من أجل هذا الغرض ، وذلك مما أفسد على الناس رأيهم في الحكم على شعر المدح عامة ، وشعراء المديح قاطبة حسبانهم أنه من التسول ، وأن أصحابه متسولون ، وهذا خطأ ، إذ أن المدح والهجاء من أساليب الإعلام والدعاية المشروعة كما هما في هذا العصر .

فيضرب الدكتور عبد الله الطيب عدداً من الأمثال والنماذج دفاعاً عن شعر المدح عند أبي الطيب .

كما تناول المدخل : إن أبا الطيب وزيراً لدولة سيف الدولة للإعلام لمدة تسع سنوات وكاد له منافسوه وكان وزير الدعاية لكافور أربع سنوات وكان وزيراً زائراً مفوضاً من عند نفسه ذلك الحين القصير ، ثم كان وزيراً للدعاية والإعلام عند عضد الدولة لمدة عام . وكان عليه واجب آخر هو أن يبرز عمله بصورة فنية شعرية تحمل طابعه الشخصي .

ويقول كذلك " وكان خرج أول شبابه بدعوى أدعاها ولو قد نجح سبق الفاطميين إلى إنشاء دولة فاطمية ولعله كان يدعي نسباً علوياً ، ولعله كان علوياً يكتم نسبه (٢) .

وكذلك يقارن بينه وبين امرئ القيس فيقول :

" وبينه وبين امرئ القيس مشابه ، من حيث الشعور بوحشة الانفراد وتجشم الأسفار وبعد المطلب وحسرات الإخفاق وشدة التصميم وكان فؤاده من الملوك كما قال :

وَفُؤَادِي مِنْ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَانَ
لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعْرَاءِ

(٢) كتاب مع أبي الطيب للدكتور عبد الله الطيب ص ٦

بينهما فرق عظيم وهو أن أبا الطيب طلب الملك حياً فيه ولم ينشأ كما نعلم إلا سوقه يتيماً أو كيتيم . وامرؤ القيس فرض عليه الملك وطلب الثأر بحكم الشرف القبلي العربي وما زال دهره يجهد بجهد أو يجد سبيلاً إلى أن يكون سوقه بلا مسؤوليات فلا يستطيع .

ثم يذكر في مقدمه " وما قتنة العرب بأبي الطيب ألف عام إلا لما علموا من أمر نبوغه وما أحسوا من سحر إبداعه . قال الذهبي " ليس في العالم أحد أشعر منه وأما مثله فقليل : وقال ابن رشيقي " ملأ الدنيا وشغل الناس " وقال الثعالبي " سافر كلامه في البدو والحضر وكادت الليالي تنتشده والأيام تردده " فيختم مقدمته بقوله

" هذا والحديث عن أبي الطيب ذو شجون وإلى القارئ الكريم بعد خواطر وإنما هي من باب التأويل والاقتراح فأمل أن يجد ذلك لديه بعض القبول "

تعليق :

بالنظر إلى مقدمة أو مدخل الدكتور طه حسين في العبارة " وليس المتنبى من أحب الشعراء إلى ولا أثرهم عندي ولو أني أطعت نفسي وجاريت هواي لاستصحبت شاعراً إسلامياً قديماً " وكذلك عبارته " ولم أجد بأساً في أن أتقل على نفسي بالتحدث إلى المتنبى " نجد اختلافاً عن مدخل الدكتور عبد الله الطيب الذي يقول " هذا والحديث عن أبي الطيب ذو شجون "

المطلب الثاني :

" المحتويات "

من الأشياء التي يختلف فيها الكاتبان طريقة التبويب والمحتويات والفهرست فكتاب الدكتور طه حسين تجده مفصلاً إلى كتبيات أو كتب فتجده يحتوي على الآتي :

الكتاب الأول (صبي المتنبي وشبابه)

نسب المتنبي : أبوه ، أمه ، وجدته ، عربته ، الحياة الإسلامية حين ولد المتنبي ، صبي المتنبي في العراق ، إلى الشام ، شعر المتنبي في شمال الشام ، شعره في طرابلس ، شعره في اللاذقية ، شعره حين يستعد للثورة ، وكذلك شعره في السجن ، وأخيراً بعد خروجه من السجن .

أما الكتاب الثاني : بعنوان (في ظل الأمراء) فاشتمل على الآتي :

المتنبي مع الأراجي ، عند بدر بن عمار ، إزعاجه عن بدر ، فراره من بدر ، عودته إلى الاضطراب ، عند ابن طفح ، عودته إلى شمال الشام ، عند أبي العشائر .

وكذلك الكتاب الثالث : كان بعنوان " المتنبي في ظل سيف الدولة "

فاحتوى على الآتي :

شعر المتنبي في سيف الدولة ، بيئة سيف الدولة ، مدح المتنبي لسيف الدولة ، رثاؤه لأقارب سيف الدولة وخاصته وصفه لحروب سيف الدولة الداخلية وصفه لحروب سيف الدولة الخارجية ، تعريف المتنبي بأعداء سيف الدولة من أصحاب السلطان ، شعر المتنبي في فراغ سيف الدولة ، عتاب وفراق .

أيضاً الكتاب الرابع كان بعنوان " المتنبى في ظل كافور " واشتمل على :
المتنبى في طريق مصر ، في الفسطاط ، قضية المتنبى وكافور ، البيئة
المصرية المتنبى والبيئة الطبيعية في مصر ، شعر المتنبى في كافور ، مدحه
لكافور ، شعره السياسي عند كافور ، غناؤه في مصر ، المتنبى وفاتك هجاؤه
لكافور ، فراره من كافور .

أما الكتاب الخامس والأخير بعنوان " غنيمة الأياب " واحتوى على :

المتنبى في الكوفة ، المتنبى في بغداد ، عودته إلى الكوفة ، في
أرجان ، شعره في ابن العميد ، في ظل عضد الدولة في طريق العراق ، خاتمة
المطاف وأخيراً بعد الفراغ .

لم تفصل هذه الأبواب أو الكتاب في الصفحات الداخلية للكتاب بهذه
العناوين المذكورة وإنما ذكرت في الصفحة الأخيرة في الفهرست ولذلك كان لا
بد للقارئ من استخلاص لهذه العناوين في الصفحات الداخلية مما يجبر القارئ
على قراءة كل الصفحات . أما كتاب الدكتور عبد الله الطيب (مع أبي
الطيب) فلم يجعل له الدكتور فهرساً لتحديد الأبواب أو العناوين في مؤخرة
الكتاب أو مقدمته وإنما كان يرقم ترقيماً بالأرقام من الرقم (١) بالصفحة عشرين
وينتهي بالرقم (٥) بالصفحة (١٥٦) فكان ما بين الرقم والرقم الآخر الذي يليه
مجموعة أو عدد من الموضوعات المختلفة التي يمكن أن تكون تحت عناوين
جانبية أو رئيسية مختلفة فلم يحدد ذلك الدكتور ولعله يريد من القارئ أن يستنتج
أو يجتهد ليستخلص ما تعنيه تلك الصفحات التي بين الأرقام فمثلاً ما بين الرقم
(١) والرقم (٢) .

نجد الدكتور عبد الله يبدأ كتابه بأعداء المتنبى فيقول (في شعر أبي الطيب
شواهد تدل على أنه همّ باغتياله أو أخذ عليه الطريق أو أريدت إليه الغوائل وما
يجري بمجراها غير مرة كقوله :

يحي بن كيغخ - البيت

وكقوله :

أتاني وعيد الأدياء وأنهم أعدوا إلى الودان في كفر عاقب

وذكر فيه اعتذاره لسيف الدولة في رواية أبي الفرج السامري :

ألا ما لسيف اليوم عاتباً فداه الورى أمضى السيوف مضاربا

وإن كان ذنبي كل ذنب فإنه محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

وذكره فيه أيضاً جزء من البائية التي أنشدها أبو الطيب كافورا

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المالوية تكذب

وقال ردي الأعداء تسر إليهم وزارك فيه ذو الدلال المحجب

حيث يقول وشعر أبي الطيب في كافور سمح جزل منطلق يدل على حب كان

له منه وإعجاب به ويدلك على إعجاب أبي الطيب في كافور قوله :

فوافت بنا إنسان عين زمانه وختت بياضاً خلفها وماقيا

وفي الوقت نفسه يذكر هجاء أبي الطيب كافوراً حين يقول " وإنما كان هجاء

أبي الطيب كافوراً ضرباً من الغضب على نفسه والتبرير لطبعه ولا يخفي أن

أجود ما في الدالية "

" عيدُ بأية عيدٍ عدت يا عيدُ "

كما تطرق أيضاً إلى ذكر أبي الطيب للشام وحينه إليها وذكر شامية لعلها هي

أيضاً صدى من صاحبة درب القلة وذلك قوله :

شامية طالما خلوت بها تبصر في ناظري محياها

فقبلت ناظري تغالطني وإنما قبلت به فاها

ما نقضت في يدي غرائرها جعلته في المدام أفواها

في بلد تضرب الحجال به على حسان ولسن أشباها

لقينا والحمول سائرة وهن در قرين أمواها

في بلد تضرب الحجال به على حسان ولسن أشباها

لقينا والحمول سائرة وهن در قرين أمواها

وأخيراً تطرق لمقتله في قوله : قال الثعالبي " راجع مقتل أبي الطيب " فالشاهد

أن الدكتور عبد الله الطيب تناول بين الرقمين عدداً من الموضوعات وذلك

يكون باستنتاج القارئ .

المطلب الثالث

" شعر المتنبي "

هنالك أوجه اختلاف بين الكتابين حول شعر المتنبي حيث يذكر الدكتور طه حسين بعض الأشياء ولم يذكرها الدكتور عبد الله الطيب في كتابه مع أبي الطيب او يختلف معه فيها .

من الأشياء التي تطرق لها الدكتور طه حسين في كتابه مع المتنبي ولم يذكرها الدكتور عبد الله الطيب .

أولاً : بعض الخصائص التي أختص به شعره في " سوريا الشمالية ، في طرابلس ، في اللاذقية ، حين كان يستعد للثورة في البادية وكذلك شعره وهو في السجن "

" أي شعر آخر الصبا وأول الشباب "

فمثلاً قوله :

وقد مدح بهذا الشعر أو بأكثره على الأقل جماعة من العرب ليس فيهم إلا مضري واحد هو سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابي القيسي ومدحه بالقصيدة التي مطلعها :

أحيا وأسير ما قاسيت ما قتلا والبين جار على ضعفي وما عدلا

وأما الآخرون فقحطانيون ، منهم الأسدي وكذلك جماعة من الطائيين منهم شجاع بن حمد الطائي وكذلك عبد الله وأخوه أبو عبادة بن يحيى بن البحتري الشاعر وقد مدحه بقصديتين مطلع أولهما :

بكيت يا ربع حتى كدت أبكيكا وجدت بي وبدمعي في مفاتيكا

ومطلع الثانية

أريقك أم ماء الغمامة أم خمر بفيّ برود وهو في كبدي جمر

ومدح أخاه بالقصيدة التي يقول في أولها :

ما الشوق مقتنعاً مني بذا الكمدِ حتى أكون بلا قلب ولا كبدِ

ونلاحظ أنه في القصائد التي لم يذكر البحتري الشاعر جد ممدوحة لم يشير إليه ، ولعل هذا يلائم ما كان معروفاً عن المتنبي من الإمعان في قراءة " شعر المحدثين وأدب البلغاء والإدعاء مع ذلك أنه لا يقرؤهما ولا يحسن العلم بهما حتى افتضح في ذلك^(١) "

ويرى الأستاذ بلاشير^(٢) والدكتور عبد الوهاب عزام^(٣) أنه لم يمدح مساور إلا في وقت متأخر بعد موت محمد رائق والذالية تؤيد هذا الرأي .

فيقول كذلك الدكتور طه حسين " وأنت إذا قرأت هذا الشعر كله لم تشك في أنه الشعر الذي يلي ما قدمنا الحديث عنه في الفصول السابقة أي أنه الشعر الذي قيل في آخر الصبا وأول الشباب فيه كل الخصائص التي تثبت إثباتاً قاطعاً ، فالآراء القرمطية ظاهرة فيه كما ستري ، إلا أن يتحفظ الشاعر ويحتاط ، والمذهب الفني الذي ابتدأ الفتى به شعره ظاهر فيه كل الظهور تقليده للقدماء ، ولأبي تمام خاصة اعتماده ظاهر على الطباق والمبالغة يسرف فيها إن استعصت عليه القريحة ويقصد فيها إن واتاه الطبع ثم ظاهرة أخرى نجدها في هذا العصر عند جماعة من الشعراء ولم يسلم منها المتنبي لا في هذا الطور ولا في الأطوار الأخرى التي تليه ، وهي تكلف القوافي التي لا تخلو من عسر ، والتي لم يكن المطبوعون من الشعراء المتقدمين يتكلفونها ، فكافيته في مدح البحتري و ذاليتها في مدح مساور بن محمد الرومي تدلان على أن الفتى كان يأخذ نفسه بشيء من الشدة ليظهر شيئاً من البراعة في اصطناع القوافي والقدرة على استدلالها .

(١) مع المتنبي للدكتور طه حسين ص ٧٩ - ٨٠

(٢) ذكرى أبي الطيب للدكتور عبد الله الطيب ص - ٥٨

ثم أنت حين تقرأ هذا الشعر تحس في ألفاظه ومعانيه وأساليبه لينحو طبيعة الشاعر وتقدم ملكته الفنية نحو الرشد والنضج شيئاً فشيئاً ، ولو لا أنني أكره الإطالة والإملاط فيما لا حاجة إلى الإطالة فيه والإملاط لاستعصيت هذا المقدار من شعر المتنبي ولدراسته قصيدة ومقطوعة مقطوعة ولحاولت أن أستنبط من هذا الاستقصاء والدرس نمو الملكة الفنية عند هذا الشاعر الشاب ولكني إن فعلت أبطلت عليك وعلى نفسي ولم أنته بك ولا بنفسي إلى غاية لهذا الحديث .

فمثلاً من الجهود التي بذلها المتنبي في صباه لإقامة شعره يقول في لاميته التي مدح بها سعيد بن عبد الله :

بما بجفنيك من سحر صلى دنفاً يهوى الحياة وأما إن صدت فلا

فستتكر منه هذا الاستلاف الذي يفجؤك بهذه الباء تليها باء أخرى والمتنبي مضطر يحكم الجهد إلى مثل هذا التكلف ، ولعله كان يحس من الناس شيئاً من الإنكار فيأبى عليه عناده إلا أن يغيظ مخلصيه بالإلحاح فيما يكرهون وما دام النحو يجيز له مثل هذا فليس عليه بأس من الإيغال فيه وكذلك ينتقل المتنبي من التكلف إلى التعقيد من التعقيد الذي تفرضه الضرورة إلى التعقيد الذي أصبح مذهباً من مذاهب الشعر وفناً من فنون الأداء مثل المتنبي في ذلك مثل الفرزدق الذي كان يرى المعازلة وسيلة من وسائل الأداء الشعري ، ويعتمد تجاوز المؤلف ليغيظ خصومه من النحويين (١)

وسترى إذا أمضيت في قراءة الديوان أن السبب ليس من الفنون التي يحبها أو يحفل بها ، وإنما يتكلفه على غير طبعه احتفاظاً بالسنة المألوفة عند الشعراء وانظر إلى هذا الغزل كيف تخلف الشاعر إلى ممدوحه بهذا البيت عابه عليه النقاد ظالمين

(١) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٧

على الأمير يرى ذلي فيشفع لي إلى التي تركتني في الهواء مثلاً
فهم أنكروا على الفتى أن يجعل الأمير شفيحاً له عند صاحبتة ولكنهم
نسوا أن الفتى يمدح رجلاً بدوياً ، وأن السنّة كانت متصلة بان قوماً أعظم خطراً
من هذا البدوي قد شفّعوا في الحب للمحبين . أو لم تحفظ الأخبار أن الحسين
بن علي شفّع لقيس بن ذريع عند أبي لبني^(١) وأن عمال الأمويين شفّع لقيس بن
الملوح عند أبي ليلي^(٢) وأن أبي عتيق سفر بين عمر والثريا^(٣) فما يمنع المتنبّي
أن يشفع لهذا الأعرابي الكلابي عند التي تركته مثلاً في الهوى؟
كذلك مما أخذ عليه لهذا الأعرابي الكلابي التي مدح بها الشاعر محمد
بن زريق الطرسوس التي يزل فيها كثيراً من الخطل فلم ينل عليها فيما يقول
ياقوت^(٤) إلا عشرة دراهم ثم شفّع له شافع فنال عشرة دراهم أخرى . ولكن
القصيدة بلغت من التكلف في أبشع صورة والتعامل في أشنع مظاهره ولترى
كيف ينتهي الشاعر الفتى أحياناً من السخف إلا ما يطاق .

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم انتنت وما شفيت نسيسا
وجعلت حظي منك حظي في الكرى وتركني للفرقدين جليسا
قطعت نياك الخمار بسكرة وأذرت من خمر الفراق كؤوسا

فالكلام إلى هنا فارغ ، ولكنه محتمل آخر الأمر وكذلك في داليتة التي
يمدح على بن الحسين فأخذ عليه مطلعاً الغامض البغيض الذي أنكروه القدماء

(٢) الأغاني ج ص - ١١٣ طبع بولاق

(٣) الغاني ج ١ ص - ١٧٣ طبع بولاق

(٤) الأغاني ج ١ ص - ٣٦ طبع بولاق

(٥) معجم الأدباء ج ٥ ص - ٢٠٤

(٦) الوساطة بين المتنبّي وخصومه ص - ٧٨ طبع العفران بصيدا

ورأوا فيه أُلغازاً وخطأ في الحساب وبعداً عن الشعر^(٥)

آحاد أم سداس في آحاد نُيِّلتنا المنوطة بالتنادي^(٦)

وكذلك من الأشياء التي لم يذكرها عبد الله الطيب في شعره في مدح بدر بن عمار حيث يقول الدكتور طه حسين في كتابه ص ١٢٩ " على أن أجود ما قال المتنبي في بدر عندي هي لاميته التي يصف فيها ما كان بين بدر وبين الأسد من صراع ينتصر فيه بدر فالمتنبي قد صور الأسد المصارع المدافع في هذه القصيد وصور الصراع والدفاع تصويراً رائعاً بارعاً بذّ فيه نفسه وفاق فيه طاقته وخرج فيه عن طوره المألوف .

التي يقول فيها :

لو كان علمك بالإله مقسماً في الناس ما بعث الإله رسولا

لو كان لفظك فيهم ما أنزل الفرقان والتوراة والإنجيلا

أفتراه طمع في أن يستهوى بداراً إلى قرمطيته القديمة ؟ من يدري !

ولكننا نتجاوز له عن هذا السخف في سبيل هذا الوصف الرائع الذي لا بد من روايته ، لأنه أجمل من أن يهمل .

أمعفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا

حتى يقول :

سبق التقاءكه بوثة هاجم لو لم تصادمه لجازك هيلا

خذلته قوته وقد كافحته فاستنصر التسليم والتجديلا

قيضت منيته يديه وعنقه فكأنما صادفته مغلولا

سمع ابن عمته به وبحاله فنجا يهرول أمس منك مهولا

(٧) بيتمة الدهر للتعالي ج ١ ص ١٢٤ طبع إسماعيل الصاوي

وكذلك ذكر كيد الأعداء له في إبعاده عن بدر بن عمار حيث لم يذكر ذلك الدكتور عبد الله الطيب في ذكره " المتتبي مع أعدائه " حيث يقول الدكتور طه حسين :

فليس غريباً إذاً أن يشقي المتتبي بهؤلاء الكائدين وألا يطول ابتهاجه بالإقامة عند بدر بن عمار فكانت " طبرية ، بيئة ماهرة في الكيد حقاً فكان يقول المتتبي أنه سيلقى عند بدر الأمن والهدوء وتحقيق الآمال ولكن يجب أن نلاحظ أشياء :

أولاً : أن الأمير قد أخلص في حب المتتبي وإيثاره بالخير واصطفائه لنفسه حتى ألقى الحجاب بينهما . واستطاع المتتبي أن يدخل عليه وقد حجب نفسه عن الناس^(١) ثم اشترك المتتبي معه في لهوه وعبثه ومجونته ونحن نرى في الديوان أن صاحبنا لم يكن نديماً يحسن المنادمة فهو كان يمتنع على الأمير إذا طلب إليه الشرب .

وزعم ابن كروس للأمير أنه يصنع الشعر ويهيئه قبل أن يحضر للمجلس فامتحنه بدر في القصة المعروفة^(٢) التي تحدثنا عنها بأنه أحضر لعبة تمثل فتاة وقفت على رجل واحدة ورفعت رجلها الأخرى وهي تدار على لولب فإذا وقفت بهذا أحد من المجلس نقرها ودارت عنه إلى غيره فقال المتتبي فيها شعراً كثيراً لا يملك قارئه إلا أن يفكر في أحاديث " هوفمان " وثبت لبدر ولابن كروس أن المتتبي يرتجل حقاً فلم يكن المتتبي يحسن احتمال ما يلقي من الدعاية فضلاً عن الكيد فكان يحفظ خصومه ويزيده مكرًا ، ولكن يكيد رجال القصور لم تجد غرابة في أن يفسد الأمير على المتتبي كل الفساد ولم يكن له خيار إلا الفرار فقد فرّ من جوار " بدر " فلم يبعد أول الأمر وإنما نزل في جبل

(١) أنظر الواحد ص ٢٣٨

(٢) الواحد ص ٢٤٣

(٣) معجم البلدان لياقوت

جرش^(٢) على صديق له يعرف بأبي الحسن على بن أحمد الخراساني وكذلك يعتبر الدكتور طه حسين أن شعر المتنبي في سيف الدولة كان صادقاً وقوياً حيث يقول " فقد كان المتنبي يمدح سيف الدولة من غير شك بهذا الشعر ولكنه لم يكن يصور سيف الدولة وحده وإنما كان يصور معه نفسه ويصور جماعة المسلمين المجاهدين ويصور جماعة الروم أيضاً ، ومن هنا نجد أن وصف المتنبي لحروب سيف الدولة عند الثغور فتوه عربية اجتماعية حية قوية مضطربة شديدة الاضطراب كأنها الكهرباء لا تكاد تتصل بالشعر حتى ينتقل إليك ما صور فيه حياة هؤلاء المجاهدين وما كان يملؤها من نشاط فيه الأمل والابتهاج وفيه الاكتئاب والابتئاس وفيه الثقة بالنفس والإيمان بالحق والارتفاع عن صغائر الأمور دائماً .

ونحن نستطيع أن نفهم عجز الأستاذ بلاشير عن ان يذوق جمال هذا الفن من شعر المتنبي وأن نعلله وإن لم يكن في حاجة إلى هذا التعليل فجنسية الأستاذ واختلاف مزاجه وطبعه وأخشى أن أنكر دينه أيضاً ، كل هذا يجعل تأثيره من شعر المتنبي قليلاً ضئيلاً وربما جعله تأثيراً عكسياً وربما دفع الأستاذ إلى الغض من هذا الشعر وازدراء له .

وأنا في الوقت نفسه أخالف صديق الدكتور عبد الوهاب عزام أشد الخلاف فيما ذهب إليه من تقديم هذا الفن من شعر المتنبي على الشعر القصصي القديم كله ، فهذا غلو لا سبيل إلى قبوله مع ما هو محقق من انقطاع أسباب الموازنة بين شعر المتنبي هذا وقصص الهند واليونان والرمان^(١) .

(١) راجع ذكرى أبي الطيب للدكتور عبد الوهاب عزام
(٢) المتنبي محمود أفندي شاكر " المقتطف مجلد ٨٨ ص ١٣٠ "

وكذلك من الأشياء التي لم يذكرها الدكتور عبد الله الطيب في شعر أبي الطيب " شعر الرثاء" ولكن ذكرها الدكتور طه حسين بقوله " وليس من شك في أن أجمل ما قال المتنبي من رثاء لسيف الدولة إنما هي القصيدة الأخيرة التي رثى بها أخته خولة ، وما أرى أن صلة قريبة أو بعيدة بين المتنبي وهذه الفقيدة وكل ما يمكن أن نفهم منها أن الشاعر يتحدث بأن هذه الفقيدة برته وأحسننت إليه عن بعد كما كانت تحسن إلى غيره من القصاد وأهل الأدب وقد يكون هذا حقاً وقد يكون كلام شاعر " .

فيقول محمود أفندي شاعر " والفرق عظيم على كل حال بينه وبين رأي من رأى أن قد كان بين الشاعر وبينها حب أو ما يشبه الحب(٢) "

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بها عن أشرف النسب
أجل قدرك أن تسمى مؤينة ومن يصفك فقد سماك للعرب

وفي ختام كتابه يقول طه حسين حول شعر المتنبي " أن شعر المتنبي لا يصور المتنبي وأن شعر الشعراء لا يصور الشعراء تصويراً كاملاً صادقاً يمكننا أن نأخذهم منه أخذاً مهما نبحت لا أكثر ولا أقل .

أما ما ذكره الدكتور عبد الله الطيب في كتابه مع أبي الطيب حول شعر أبي الطيب يقول " ولشعر أبي الطيب أصداء تتجاوب ، والصدق منهجه أبداً ، قال ابن جني ما عرفته إلا صادقاً ويقول وقد أجمع النقاد أنه هو وأبو تمام والبحثري أشعر المحدثين الثلاثة بلا أدنى ريب لأن صاحبيه قد لحقهما غبار التاريخ فصارت أشباحها على عظمها تتهم بالاختفاء ، وأن يغمرها النسيان وهو لا زال شبجه باهراً مضيئاً جداً .

(١) المتنبي لمحمود أفندي شاعر " المقتطف مجلد ٨٨ ص ١٣٠

وقال الذهبي ليس في العالم أحد أشعر منه وأما مثله فقيلي ، وقال ابن رشيق " ملأ الدنيا وشغل الناس " وقال الثعالبي " وسافر كلامه في البدو والحضر وكادت الليالي تتشده والأيام تردده " وهكذا من قوله :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

وقد حام شكسبير حول هذه المعنى في عدد من كلماته فلم يجيئ به محكماً كما هاهنا والله أعلم .

وكذلك من الأشياء التي اختلف فيها الكاتبان أن الدكتور طه حسين يعتبر شعر المتنبي في كافور قوياً ولكن الدكتور عبد الله الطيب يعتبره ضعيفاً والدليل على ذلك ما ذكره الدكتور طه حسين في كتابه مع المتنبي حيث يقول عن ذلك معلقاً على داليتيه التي مدح بها كافوراً لما تم الصلح بينه وبين واليه :

حسم الصلح ما أشتهيته الأعداي وأذاعته ألسن الحسادِ

وأرادته أنفس جال تدبيرك ما بينهما وبين المرادِ

صار ما أوضح المحبوب فيه من عتاب زيادة الودادِ

وكلام الوشاة ليس على الأحابب سلطانه على الأضدادِ

إنما تنجح المقالة في المرء إذا وافقت هوى في الفؤادِ

فيقول وهي عندي من أجمل شعر المتنبي وأصدقه في تصوير ما يكون في مصر بين حين وحين من الفرقة وانشقاق العصا ، ثم من الوحدة واجتماع الرأي ومن أبياتها ما يمكن إنشاده والتمثيل به في هذا العصر الذي نعيش فيه وفي هذا الطور من أطوار تاريخنا الحديث بصفة خاصة .

فهذا كلام سائغ اللفظ ، قريب المعنى ، ملائم لأهواء النفوس المجتمعة بعد افتراق وعواطف القلوب المؤتلفة بعد اختلاف ، وهو قد صور الألفة والفرقة اللتين كانتا بين الكافورية والإخشيديّة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وهو في الوقت نفسه خليق أن يتمثله المصريون في عصرهم الحديث كلما أُتيح لهم الائتلاف بعد الاتفاق بعد الافتراق ، وقد عطف المتنبّي على كافور وفي الميمية الغامضة التي يقال إنها أثارت أو قوت الشكوك في نفس كافور على المتنبّي :

أتلّمس الأعداء بعد الذي رأيت قيام دليل أو وضوح بيان
رأت كل من ينوي العذر يبتلى بغدر حياة أو بغدر زمان
يقول الدكتور طه حسين :

ولكن بعد أن عرفوا ما كان من فساد الأمر بين الشاعر وكافور مشغولون بالتماس التعريض والتلميح والالتواء في كل ما قال المتنبّي وهم يحملون شعر الرجل ما لا يحتمل ويضيفون إلى المتنبّي ما لم يردّه ، ولم يفكر فيه والناس معذورون ، لأن المتنبّي نفسه هو الذي استخذى من مدحه لكافور ففتح لهم هذا الباب .

وكذلك يقول الدكتور :

وأجمل ما قال المتنبّي من الشعر في مصر إنما هو هذا الغناء الذي صور فيه حزنه وألمه واغترابه ، وقد استأثر هذا الغناء بشعره الذي قاله في مدح كافور وشعره كذلك الذي قال في هجاء كافور وكذلك يقول " وقد رأينا أن مدح المتنبّي لكافور كان مدحاً معتدلاً يجود حيناً ويتوسط حيناً آخر وكان جزل اللفظ ، رصين الأسلوب ، أقرب إلى الرضا منه إلى السخط ، وما أشك في أن المتنبّي قد وفق للإجادة في هجاء كافور والمصريين أكثر مما وفق للإجادة في المدح .

وأنا أعتذر إذا لم يكن بد من الاعتذار من الإعجاب ببعض هجاء المتنبى للمصريين فكلما أنه قد أحسن تصوير لون من ألوان الحياة المصرية حين ائتلف كافور ومولاه بعد اختلاف .

فهو كذلك قد أحسن تصوير لون من أخلاق المصريين حين وصف إذعانهم وخنوعهم لهذا الأسود الذي كانوا يرونه يضرب ويهان ويعبث به في الأسواق ثم أصبحوا يرونه ملكا يدينون له بالطاعة والخضوع .

ويقول كذلك :

وسواء أردنا أم لم نرد فإن لمصر على المتنبى فضلين لا يستطيع هو ولا نحن أن ننكرهما فهي قد رقت غناه وعلمته الحزن الطويل العميق والتأمل الذي يكاد يرقى به إلى الفلسفة ، وأنطقته بأشد شعره حزناً وأبلغه في النفس أثراً في ميميته التي يذكر فيها مرضه وفي نونيته التي يشكو فيها الزمان وهي قد علمته الهجاء اللاذع الممض الذي يبقى على الدهر ولا يخلو من نفع وموعظة .

أما الدكتور عبد الله الطيب في كتابه مع أبي الطيب حين يذكر شعر أبي الطيب في هجاء كافور ويظهر فيه ضعف حين يقول ما قاله أبو الطيب في هجاء كافور :

فمثلك يوتى من بلاد بعيدة ليضحك ربات الحجال البواكيا

قال العكبري " وقد صرح في هذا البيت بجميع ما كان أخفاه في مدحه بقوله في غير هذه :

وما طربي لما رأيته بدعة لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

يقول الدكتور عبد الله الطيب :

وليس مقال العكبري بصواب وإنما رجح أبو الطيب يتأول ويتلمس لنفسه وجوه التبرير .

ويقول كذلك أبو الطيب :

ولولا فضول الناس جئتكم مادحاً

بما كنت في سري به لك هاجيا

تظن ابتساماتي رجاءً وغبطة

وما أنا إلا ضاحك من رجائيا

يقول الدكتور عبد الله الطيب :

وهذا شعر صنعه ليسمعه المصريون لروح النكتة فيه وما كان إلى سبيل
فكتمه حتى خرج ، كم قد حرص رحمه الله على البقاء بمصر كما يقول وليس
في شعر أبي الطيب مرارة حقد على كافر كما في هجائه ابن كيلغغ فيقول
الدكتور عبد الله الطيب في مقام آخر من كتابه . ومن آية شكره المصري آمن
لا يستشعر خوفاً ولا في مدحه ولا في هجائه ، بل هو مطمئن كل الإطمئنان
حضري النكهة وذلك يختلف مع رأي الدكتور طه حسين يقول " وما أشك في
أن المتنبى قد وفق فلاجادة في هجاء كافر والمصريين أكثر مما وفق للإجادة
في المدح " .

الفصل الخامس

المبحث الثالث

" المفاضلة بين الكتابين "

ولكي أوازن أو أفاضل بين الكتابين لا بد لي من أن أدخل وأهتدي بما قاله أبو القاسم الحسن بن بشير بن يحيى الأمدى في كتابه الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري حين قال :

" وأنا أذكر بإذن الله في هذا الجزء (أنواع) المعاني التي يتفق فيها الطائيان وأوازن بين معنى ومعنى وأقول أيهما أشعر في ذلك بعينه فلا يطالبني أن أتعدى هذا إلى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندي على الإطلاق فإنني غير فاعل ذلك لأنك أن قلدتني لم تحصل لك الفائدة بالتقليد وإن طالبت بالعلل والأسباب التي أوجبت التفضيل فقد أخبرتك فيها بما تقدم وما سيعود ذكره على الموازنة في هذه الأنواع على ما يقوده القول وتتقنه الحجة ، وما ستراه من محاسنها وبرائعها وعجيب اختراعاتها فإنني أوقع الكلام على جميع ذلك وعلى سائر أغراضها ومعانيها في الأشعار التي أرتبها في الفصول ، ويبقى ما لا يمكن إخراجها إلى البيان ولا إظهاره إلى الاحتجاج وهو علة ما لا يعرف إلا بالدربة ودائم التجربة وطول الملاسة وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت تجربته وقلت دريته بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الصناعة وامتزاج بها وإلا فلا تم أكيدك بعد هذا إلى اختيارك وما تقضي عليه فطنتك وتمييزك فينبغي أن تمعن النظر فيما يرد عليك ولن تنفع بالنظر إلا من يحسن أن يتأمل ومن إذا تأمل علم ومن علم أنصف ألا ترى أنه قد يكون فرسان سليمان من كل عيب موجود فيها سائر علامات العتق والجودة والنجابة ، ويكون أحدهما أفضل من الآخر لفرق لا يعلمه إلا أهل الخبرة والدربة الطويلة (1).

(1) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري لأبي القاسم الحسن بن بشر الأمدى ٣٧٠ هـ تحقيق السيد أحمد صقر ط ٤ ص ٤١٣ .

أما أنا فقد ذكرت بحمد الله تعالى في الموازنة بين كتابي " مع المتنبى للدكتور طه حسين ومع أبي الطيب للدكتور عبد الله الطيب ما اتفق عليه الكاتبان أو ما تشابه في كل من الكتابين وأسमित ذلك أوجه الشبه بين الكتابين وكذلك ما اختلف فيه الكتابين وأسमित ذلك أوجه الاختلاف بين الكتابين .

وعلى الرغم من أنني أهتديت بما ذكره الأمدى في موازنته بشعر البحري وأبي تمام ، حيث ترك أمر المفاضلة للقارئ فقد اتفق معه في ذلك تشجيعاً للقارئ حتى يستنتج من خلال الموازنة بين الكتابين التي شملت كل الكتابين من المحتويات أو هيكله الكتابين حتى الخاتمة .

ولكن تيسراً للقارئ هنالك مدخلات أو تعليقات لا بد أن أذكرها وتمثل في

الآتي :

أولاً : الزيادة والنقصان في كل من الكتابين :

حيث نجد أن الدكتور طه حسين في كتابه " مع المتنبى " زاد بداية بذكر نسب المتنبى وتحدث عن صباه والبيئة التي أثرت على نشأته وشعره فإن الدكتور عبد الله الطيب لم يذكر ذلك ، كما أن الدكتور طه حسين ذكر حياة المتنبى مع عدد من الأمراء أمثال الأراجي ، بدر بن عمار ، ابن طغج ، أما الدكتور عبد الله الطيب فكان تركيزه على حياته مع سيف الدولة وكافور وكذلك مع أعدائه ولم يذكر نسبه إلا قليل بقوله " زعم البديعي أن أبا الطيب كان يكتم نسبه فسئل عن ذلك فقال إني أنزل دائماً على العرب وأخاف ألا يعرفوني خيفة أن يكون لهم في قومي ثأر " .

كذلك من الأشياء التي ذكرها الدكتور عبد الله الطيب ولم يذكرها طه

حسين مجارة أبي فراس الحمداني لأبي الطيب .

ثانياً : نجد أن كتاب الدكتور طه حسين كله عن المتنبي تفصيلاً بداية بمولده أو نسبه إلى مقتله حيث أسماه خاتمة المطاف كما سمى ذلك على الجارم في كتابه خاتمة المطاف .

أما كتاب الدكتور عبد الله الطيب فقد ذكر فيه أشياء كثيرة واستطرد كثيراً في المقدمة حتى كادت أن تأخذ نسبة تقارب الخمس حيث حكى عن وضع الشعراء مع الأمراء بصورة عامة ، والشعر كان يمثل الإعلام بصورة أعم وتحدث عن شعر المدح لعدد من الشعراء لعدد من الأمراء ولم يكن أبو الطيب أو المتنبي إلا واحداً من هؤلاء الشعراء .

وكذلك ديل كثيراً في مؤخره كتابه حيث أخذت الذبول والملحقات بالمقدمة أسمى ذلك " ذبول وملحقات بالمقدمة " ما يقارب ربع الكتاب واستهلها بالمطالع ومداخل النسب في الشعر العربي ، ثم الأوصاف والكنيات في الشعر العربي الخ ...

ثالثاً : على الرغم من أن الكاتبين قد انتهجا نهجاً واحداً في كيفية معيتهما مع المتنبي حيث أنهما اعتمدا اعتماداً كثيراً على ديوانه أو شعره ، إلا أن الدكتور طه حسين كان يشرح البيت الواحد شرحاً مفصلاً ويعلق عليه تعليلاً واضحاً بتحسينه أو ينفذه ولم يكن ذلك عند الدكتور عبد الله الطيب حيث كان يجعل أكثر من أن يفصل بل كان يعتمد معظم تعليقاته على الرجوع لبعض الكتاب أمثال " الثعالبي " والذهبي وابن رشيق خاصة في تقييمه لشعر المتنبي .

رابعاً : كذلك من الأشياء أو الزيادة عند الدكتور عبد الله الطيب ولم يكن يذكرها أو يتطرق إليها الدكتور طه حسين هي تسميته بالمتنبي أو ادعائه النبوة حيث يقول : " فيتصل أمثال ابن خنزابه بأمثال ابن خالوية فيجدون من سالف أمره بالشام أخبار وأساطير كدعواه النبوة .

ولعل ما سمي المنتبي إلا لقوله :

وما مقامي بأرض نخلة إلا
أنا في أمة تداركها الله
كمقام المسيح بين اليهود
غريب كصالح في ثمود

وأيضاً من الزيادة عند الدكتور عبد الله الطيب ذكره لشعر الفخر في

ميميته تفصيلاً بذكر معظم أبيات الفخر فيها والاعتزاز بنفسه كقوله :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
أنا ملء جفوني عن شواردها
وجاهل مدّه في جهله ضحكى
إذا نظرت نيوب الليث بارزة
ومهجة مهجتي من هم صاحبها
رجلاه في الركض رجل واليدان يد
ومرهق سرت بين الجحفلين به
فالخيل والليل والبيداء تعرفني
صحبت في الفلوات الوحش مفرداً
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم
حتى أضرب والليل والبيداء تعرفني
صحبت في الفلوات الوحش مفرداً
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم

هنالك من الأشياء التي تجعل كتاب مع المنتبي للدكتور طه حسين
يمكن أن يكون مرجعاً للبحث عن حياة المنتبي أو كل ما يتعلق بشعره وما أثر
عليه ، هي اتخاذ الدكتور عبد الله الطيب بهذا الكتاب لمرجع بما أورده في
كتابه مع أبي الطيب حيث نجده كثيراً ما يرجع لكتاب الدكتور طه حسين وهذه
نعتبرها نوعاً من الأفضلية أو جزء من الاعتراف بهذا الكتاب لمصدر أو مرجع
اتخذه عبد الله الطيب كأحد المصادر التي رجع إليها في تأليف كتابه.

يقول الدكتور عبد الله الطيب في كتابه مع أبي الطيب مثلاً :

" وقد نبه الدكتور طه حسين في كتابه مع المتنبي إلى صفة نادرة الانطلاق المحض واليسر المنفسح والخيال الجموح أفادها شعر أبي الطيب بفارس ومثل لها بكلمته من مشطور الرجز " ما أجدر الأيام والليالي " وقد يضاف هاهنا أن ما كان في شعر أبي الطيب من عنصر الشكو المرقد أض بعد أن أدخلته هذه الصفة روحاً من الحزن خفى الدخل كالذي في كلمته :

يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يسار إلى الطعان

أبوكم آدم سن المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان (١)

وأيضاً يقول الدكتور عبد الله الطيب في تعليقه على نسيب اللامية للمتنبي " تنظر إلى الليالي بعد الطاعنين شكوك " وكان المعاني التي يتغنى هاهنا أصداً من المعاني التي تغنى بها عنك ولعل رسولها هاهنا الشمس كما قال ثم :

ويوماً كان الحسن فيه علامة بعثت بها والشمس منك رسولا

والشمس هاهنا غيري لأن المحبوبة أبهى منها ، وغير خاف أن روح المرح ههنا كأنما هو أيضاً صدى من روح المرح الذي أشاعة لقاءه المحبوبة إذ لقيها بدر القلة هناك ومن بعض شواهد لما أخذ في صفة الغزاة .

رمى الدرب بالجرد الجياد إلى العداء وما علموا أن السهام خيول

شموائل نشواك العقارب بالفتنا لها مرح من تحتها وصهيل

يقول " وقد نبه الدكتور طه إلى بعض هذا في حديثه عن هذه القصيدة الرائعة في كتابه مع المتنبي " .

كذلك من الأشياء التي لفتت انتباهي لا أدري أمحق فيها أم غير محق هي أن من الأشياء التي ميزت كتاب الدكتور طه حسين عن كتاب الدكتور عبد الله الطيب أن الدكتور طه قد ذكر الكيفية التي كتب بها كتابه والمصادر

(١) كتاب مع أبي الطيب للدكتور عبد الله الطيب ص ٢٨ .

التي أعتد عليها والأسباب التي جعلته يكتب هذا الكتاب وكان ذلك في مقدمته حيث يقول " فقد طلبت إلى صاحبي حين كان يجمع ما ينبغي أن نحمله من الكتب ألا ينسى ديوان المتنبي " ولم أطلب إليه أن يجعل ديواناً آخر من دواوين الشعر القديم أو الحديث وإنما طلبت ديوان المتنبي وحده .

فيخبر أنه كتبه في قرية من قرى الألب في فرنسا حيث يقول " إنما هو خواطر مرسله تثيرها في نفسي قراءة المتنبي في قرية من قرى الألب في فرنسا " ويقول وأكبر الظن أنني فعلت ذلك لأني أحب أن أعاند نفسي ، حيث أنه لا يحب المتنبي ولا يؤثره على غيره من الشعراء ، وكذلك يقول " لا أريد درساً ولا بحثاً ، وإنما أريد صحبة ومرافقة ليس غير ، ويوضح أنه كتبه في فصل الصيف وكما ذكر أيضاً في خاتمة كتابه أو الفراغ منه الفترة التي استغرقتها كتابة هذا الكتاب كما يعدل عن بعض آرائه في المتنبي التي ذكرها في المقدمة أنه لا يحبه ولا يؤثره على معاصرتة من الشعراء ولكن يعاند نفسه فقط فيقول في خاتمة حديثه " وأذن فما أعرضه عليك في هذا الكتاب ليس حياة المتنبي كما كانت ولا هو حياة المتنبي كما صورتها في أثناء شهر ونصف من الصيف الماضي ومن المحقق أنني كنت أرى في المتنبي قبل إملاء هذا الكتاب آراء عدلت عنها أثناء الإملاء ، ومن يدري لعلي أرى في المتنبي غداً أو بعد غدٍ أو اليوم آراء غير ما أثبتته في غير هذا الكتاب إنما نحن عبيد للحظات لا نملكها ولا نستطيع تصريفها ولا دعاءها ولا ردها عنا حين تقبل علينا ، وهي تقبل علينا بشيء كثير لا نحصيه ، ولما تقبل علينا به أثار لا تحمى في تهيئة مزاجنا للفهم والحكم والتأثر والتأثير .

كما يذكر الذين أعانوه يقول إني مدين بأخلص الشكر وأجمله لصديقين أولهما فريد شحاته الذي تكلف في هذا الكتاب جهداً من اليسير تصويره فقد ضحى في سبيله براحة الصيف كلها والآخر عبد العزيز أحمد الذي قام بالطبع ونهض بأعباء التصحيح ، وإنها لثقال "

فقد قلدت في ذلك أبا العلاء منذ أعوام طويلة في شكر الذين أعانوه على الكتابة والتأليف . ثم يذكر كذلك تاريخ التأليف والمكان " الزمالك ست يناير سنة ١٩٣٧م " .

أما الدكتور عبد الله الطيب في كتابه مع أبي الطيب لم يذكر زمان ومكان كتابة كتابه كما أنه لم يوضح الأسباب التي جعلته يكتب عن المنتبي عن أبي الطيب والحديث عن علاقة الأمراء بالشعر وتبرير التكسب من وراء المدح وكذلك بعض من أعدائه . كما ذكرت ذلك في أوجه الشبه والاختلاف وكل ما ذكره عن انطباعه حول أبي الطيب في مقدمة كتابه " هذا والحديث عن أبي الطيب ذو شجون " .

والى القارئ الكريم بعد خواطر إنما هي من باب التأويل والاقتراح فأمل أن يجد لديه ذلك بعض القبول والله المستعان وبه التوفيق وله الحمد أولاً وأخيراً
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

فلم يذكر تاريخاً في كتابه إلا في آخر الكتاب بعد الإنتهاء من كتابته في أبي الطيب فلم يجعل له خاتمة يعلق فيها ولا نتائج عن الطباعة ومصاحبته للمتتبي كما ذكر ذلك الدكتور طه حسين فذكر ذلك فقط في مؤخرة الكتاب بعنوان ذيول وملحقات بالمقدمة " فيقول " هذه خلاصة محاضرتين ألقيتا بكلية الآداب ببغداد يوم ١٢/١١/١٩٦٧م وبالبصرة يوم ٢٢/١١/١٩٦٧م فالتاريخ ليس للكتاب وإنما للذيول والملحقات .

وإن كان له انطباع وحيد في الختام بعد الذيول والملحقات بالمقدمة هو ذكر قصيدة " مهداة إلى أبي الطيب " بعنوان الغيث المنهمر التي يقول فيها :

همي عليك بشطي دجلة المطر وفي المدائن راج الغيث منهمر
إن التي ودعتنا بابتسامتها لا زال في خدها من لمسنا أثر
حتى يقول :

هل تذكرت أخي حين الشراع سما عليك بالموج في تياره النهْرُ
والبابلية أجفاناً لصاحبها سوء الخليفة بأس اللوم والضجرُ
يجاذب الخيل ممقوتاً ويغلبه ضيق المزاج فكاد العلج ينتحرُ
صابرته تبتقي مرضاتها شغفاً بها وأنت بالصبر محتقر

الختامة :

وقفت هذه الدراسة في خمسة فصول وكل فصل يتكون من مباحث وكل مبحث يتكون من مطالب . وبعد دراسة الكتابين " كتاب مع المتنبي للدكتور طه حسين " وكتاب مع أبي الطيب للدكتور عبد الله الطيب توصلت لعدة نتائج منها :

أولاً : تطرقت للتعرف على مفهوم الموازنة في اللغة والاصطلاح والفرق بين التعريفيين حيث أن الموازنة في اللغة تعني ثقل الشيء بالشيء الآخر . أي إذا كان قدره في المثقال أما الموازنة في الاصطلاح أن يسلك الكاتبان مورد واحد فيخرج بهما إلى روضتين .

ثانياً : تعرفت على السيرة الذاتية للدكتور طه حسين والسيرة الذاتية للدكتور عبد الله الطيب .

ثالثاً : الموازنة بين الكتابين حيث ذكرت أوجه الشبه أو ما اتفق فيه الكاتبان حيث ذكرت في ذلك (المنهج) و شعر المدح ، وشعر الهجاء خاصة في كافور ، وكذلك مقتل المتنبي :

أما ما اختلفا فيه (المدخل والمقدمة و المحتويات ، وكذلك ما اختلفا فيه حول شعر المتنبي ، والخصائص التي اختص بها شعر المتنبي .

رابعاً : تطرقت للمفاضلة بين الكتابين وهذه تعتبر من أهم نتائج البحث حيث أنني ذكرت ما تميز به كتاب الدكتور طه حسين عن كتاب الدكتور عبد الله الطيب حيث أعتد الدكتور عبد الله الطيب في أكثر من موقع على كتاب الدكتور طه حسين كمصدر أو مرجع له ولذلك رجحت المفاضلة كتاب الدكتور طه حسين على كتاب الدكتور عبد الله الطيب على الرقم من أنني رجعت في أمر المفاضلة إلى كتاب أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي في كتابه الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري حيث أنه يترك الأمر للمفاضلة للقارئ ولأهل الدراية والخبرة الطويلة .

□ أحسب أن أهم ما استفدته من هذا البحث وسيتفيد منه القارئ أن هذا البحث فصل كثيراً في الموازنة ويميز متعة دراسة الموازنة على المقارنة وكذلك لشموله لعدد من الأغراض شملت حياة ثلاثة شعراء ومؤلفين (الدكتور طه حسين ، الدكتور عبد الله الطيب ، المتنبي) إضافة إلى بعض المواضيع الأخرى . معاني الموازنة وكذلك الاستفادة من بعض المراجع والمصادر الهامة على الرقم من أن الموازنة بين كتابين فقط .

قائمة المصادر والعراجع والدوريات

١. الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني - المتوفى سنة ٣٥٦ هـ شرحه هوامشه الأستاذ عبده على مهنا والأستاذ سمير جابر طبعة جديدة مصححة ومنقحة الجزء الأول . الناشر دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان
٢. إيضاح المشكل لشرح المتنبي لأبي القاسم عبد الله بن عبد الرضي الأصفهاني .
٣. التوجيه الأدبي - طه حسين - أحمد أمين - عبد الوهاب عزام - محمد عوض محمد طبع بمطابع دار المعارف - ج / م / ع رقم الإيداع ٥٣٠٨ / ١٩٧٩ م .
٤. حافظ وشوقي - لطف حسين - القاهرة مكتبة الخانجي ١٩٧٣ م .
٥. حياة مطران - للأستاذ طاهر الطنطاوي .
٦. خاتمة المطاف - علي الجارم سلسلة أقرأ (٥٨) الناشر دار المعارف ١١١٩ كورنيش القاهرة ج / م / ع رقم الإيداع ٣٢٠٩ / ١٩٨١ .
٧. خزنة العرب ولب لباب لسان العرب تأليف : عبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠ - ١٠٩٣ تحقيق وشرح - عبد السلام محمد هارون المجلد (١) الجزء الأول الطبعة الثانية ١٤٠٩ - ١٩٨٩م الناشر - مكتبة الخانجي بالقاهرة .
٨. ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام للدكتور عبد الوهاب عزام الطبعة الثالثة . القاهرة - دار المعارف ١٩٦٨ م .
٩. الشاعر الطموح علي الجارم - الطبعة الرابعة - القاهرة سلسلة إقرأ - ٥١ / ن الناشر دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل القاهرة ج / م / ع .
١٠. شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي العلا المعري (٣٦٣هـ - ٤٤٩هـ) معجز أحمد الجزء الرابع تحقيق ودراسة الدكتور عبد المجيد دياب عضو مركز تحقيق التراث الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية - دار المعارف .
١١. طبقات فحول الشعراء تأليف محمد بن سلام الجمحي - التفسير الثاني حققه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر / القاهرة مصر الجديدة .
١٢. لسان العرب لإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري المجلد الثالث عشر دار صادر - بيروت .
١٣. المتنبي لمحمود شاكر ١٩٧٦م القاهرة مصر الجديدة .
١٤. مع المتنبي للدكتور طه حسين .
١٥. مع أبي الطيب للدكتور عبد الله الطيب .

١٦. المعارك الأدبية للأستاذ أنور الخيري .
١٧. معجم الأدباء : إرشادات الأديب لمعرفة للأمام العلامة الأديب المؤرخ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ٥٧٧هـ - ٦٢٦هـ - تحقيق وضبط نصوص للدكتور عمر الفاروق المجلد الخامس ١٤٢ - ١٩٩٩م الناشر مؤسسة المعارف بيروت لبنان .
١٨. معجم البلدان : شهاب الدين عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي دار صابر ١٩٨٤ م .
١٩. معجز أحمد الجزء الثالث تحقيق عبد المجيد دياب دار المعارف .
٢٠. المطالعة التوجيهية تأليف أحمد أمين - علي الجارم - محمد أحمد جاد المولى السباعي - السباعي بيومي أحمد . رقم الإيداع ٣٢٥٢ / ١٩٨١م الناشر دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل القاهرة ج / م / ع .
٢١. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري لأبي قاسم الحسن بن بشر الأمدي المتوفى ٣٧٠هـ تحقيق السيد أحمد صقر الطبعة الخاصة المرجع الثاني - الناشر دار المعارف .
٢٢. الوساطة بين المتنبى وخصومه علي بن عبد العزيز الجرجاني - تحقيق محمد أبو الفضل - الطبعة الثالثة - القاهرة - عيسى البابي الحلبي ١٩٧٠ م .
٢٣. وفيات العيان وأنباء أبنا الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد محمد بن أبي بكر بن خلكان - تحقيق الدكتور - إحسان عباس - المجلد الأول ٦٠٨ هـ - ٦٨١هـ دار الثقافة - بيروت لبنان .
٢٤. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر تأليف أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري المتوفى ٤٢٩ هـ شرح وتحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة الجزء الأول الطبعة الأولى ٤٠٣ هـ ١٩٨٣م الناشر دار العلمية - بيروت لبنان .

الدوريات

١. جريدة الجهاد ٢٩/٤/١٩٣٤ م .
٢. حديث القلم للدكتور محمد رجب البيومي ص ٢٨٢ وما بعدها .
٣. الرسالة العدد الأول إلى العدد العاشر ١٥/١/١٩٣٣ م .
٤. مجلة الفيصل العدد ٢٠٢ .

الفهرست

رقم الصفحة	الموضوع
أ	الآية
ب	إهداء
ج	شكر وعرافان
٢ - ٢ - و	المقدمة
(١ - ١٠)	الفصل الأول : مفهوم الموازنة
(٢ - ٦)	المبحث الأول : الموازنة لغة
(٧ - ١٠)	المبحث الثاني : الموازنة إصطلاحاً
(١٠ - ٢٣)	الفصل الثاني : السيرة الذاتية للكاتبين
	المبحث الأول :
(١٠ - ٢٩)	السيرة الذاتية للدكتور طه حسين
(١٠)	المطلب الأول (إسمه ومولده وتعليمه)
(١٠ - ١٦)	المطلب الثاني آراء الدكتور طه حسين في إمارة الشعر
(١٧ - ٢٠)	المطلب الثالث آراء الدكتور طه حسين في إمارة شوقي للشعر
(٢١ - ٢٢)	المبحث الثاني : السيرة الذاتية للدكتور عبد الله الطيب
(٢٣ - ٣١)	الفصل الثالث : (مولد المتنبي ونسبه وطفولته)
(٢٣)	مدخل (على ضوء على كتاب الدكتور عبد الله الطيب)
	المبحث الأول :
(٢٤ - ٢٨)	نسبه ومولده
	المبحث الثاني :
(٢٩ - ٣١)	النشأة والبيئة التي أثرت في تكوينه الفكري والثقافي
	الفصل الرابع :
(٣١ - ١٢٥)	شعر المتنبي
	المبحث الأول :
(٣٢ - ٧١)	(شعر المتنبي على ضوء كتاب الدكتور طه حسين)
(٣٤ - ٣٩)	المطلب الأول (أثر صحبة المتنبي لسيف الدولة على شعره)

(٤٨-٣٩)	المطلب الثاني : نماذج من شعر المتنبي في سيف الدولة
(٥٣-٤٩)	المطلب الثالث : أ / رثاؤه لأقارب سيف الدولة
(٧١-٥٤)	المطلب الثالث : ب / حياته مع كافور
(٦٢-٥٧)	في مدح كافور
(٧١-٦٣)	هجاؤه لكافور
المبحث الثاني :	
(١٠٩-٧٢)	شعر المتنبي على ضوء كتاب (مع أبي الطيب للدكتور عبد الله الطيب)
(٧٤-٧٣)	المطلب الأول : الشعر يمثل الإعلام عند العرب
(٧٥)	المطلب الثاني : (أبو الطيب وزيراً للإعلام)
(٧٨-٧٦)	المطلب الثالث : علاقة الشعراء بالأمراء
(٨٤-٧٩)	المطلب الرابع : الدكتور عبد الله الطيب يقارن أبا الطيب ببعض الشعراء
(٩٣-٨٥)	المطلب الخامس : أبو الطيب مع أعدائه
(١٠٩-٩٤)	أبو الطيب مع أبو فراس وبعض خصومه
المبحث الثالث :	
(١٢٤-١١٠)	مقتل المتنبي
(١١٣-١١١)	ما ذكره الدكتور طه حسين حول مقتل المتنبي
(١١٦-١١٤)	ما ذكره الدكتور عبد الله الطيب حول مقتل المتنبي
(١٢٤-١١٧)	ما ذكره على الجارم حول مقتل المتنبي
الفصل الخامس :	
(١٦٦-١٢٥)	الموازنة بين الكتابين
المبحث الأول :	
(١٣٩-١٢٦)	أوجه الشبه بين الكتابين
(١٢٧-١٢٦)	المطلب الأول : المنهج
(١٣٢-١٢٨)	المطلب الثاني : المدح

(١٣٦-١٣٣)	المطلب الثالث : الهجاء
(١٤٩-١٣٨)	المطلب الرابع : حول مقتل المتنبي
	المبحث الثاني :
(١٥٨-١٤٠)	أوجه الإختلاف بين الكتابين
(١٤٣-١٤٠)	المطلب الأول : (المدخل والمقدمة)
(١٤٦-١٤٤)	المطلب الثاني : (المحتويات)
(١٥٨-١٤٧)	المطلب الثالث : شعر المتنبي
(١٦٦-١٥٩)	المبحث الثالث : (المفاضلة بين الكتابين)
(١٦٧)	الخاتمة
(١٧٠-١٦٩)	قائمة المصادر والمراجع
(١٧٠)	الفهارس